مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 9 العدد 2ب، 2012، ص ص 889- 924

نوازع النفس الإنسانية في القرآن الكريم: مقاربة سيميائية

كمال أحمد غنيم * سائدة حسين العمري **

ملخص

استخدم البحثُ المنهجَ السيميائي، الذي يُعنى بتقصي العلامات الدالة حول النوازع، وبيان مستوى ارتباط عناصرها ودوالّها التي تشير إليها، والسيمياء منهج قديم في أصله، حديث في استخدامه التحليلي، يعمد إلى البحث عن جميع الدوال المتعاضدة، التي تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات المختلفة لتؤدي إلى معنى ما.

وتناول البحث نوازع النفس في القرآن الكريم مقسمة إلى نوازع عقلية تُعنى بكل ما ينزع بعقل الإنسان وعقيدته عن الإيمان والتصديق، فكانت نوازع الكفر، والشرك، والنفاق، والتحايل، والاستعجال، والشّك. ثمّ نوازع النفس الانفعالية التي تعترض انفعالات الإنسان السليمة وتنزع بها إلى الانحراف كالتّكبر، والحسد، والغرور، والغضب. وينتهي البحث بنوازع النفس الفاعلية أو السلوكية وهي التي تظهر في سلوك الإنسان فكان الشذوذ الجنسي، والشهوانية، والاستبداد المالي.

المقدمة

اهتم العلماء والفلاسفة بدراسة النفس الإنسانية من زوايا رؤية متعددة، ومثّلت النفس الإنسانية زخماً علمياً لا ينتهي مدده، وقد قسّم القرآن الكريم النفس إلى ثلاثة أقسام: النفس المطمئنة، والنفس اللوامة، والنفس الأمارة بالسوء، وذكر لكل واحدة منها طبائعها وصفاتها، ممثلة بفكرها وسلوكها، ذاكراً حالها ومآلها.

ولمّا كثرت المناهج وتعدّدت الدراسات الموظّفة في كشف جماليات الأدب، تمّ اختيار السيميائية هنا، كونها منهجا علميا يقوم بتسليط الضوء على نوازع النفس وما تحمله من دلالات، والسيميائية منهج نقدي يتناول النص من جميع جوانبه الداخلية والخارجية، ويقوم على دراسة مفرداته وما تحمله من علامات وإشارات لها دلالات بعيدة، ونظراً لأنّه لم يتم تطبيق المنهج السيميائي في الكشف عن فرائد الأسلوب القرآني المعجز، اتخذه البحث منهجا للوصول إلى جماليات رسم نوازع النفس وأنواعها.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2012.

* الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

** مديرية التربية والتعليم، غزة، فلسطين.

واعتمد البحث على استعراض مفاهيم متطلبة في البداية مثل: النزعة، والنفس وأحوالها، ثم سار باتجاه دراسة أقسام نوازع النفس الثلاثة: العقلية والانفعالية والسلوكية، المنبثقة من العقل والعاطفة والسلوك.

والنوازع: جمع نازعٌ، وهي النزائع أي النزعات، وجميعها من الجذر الثلاثي (نزع) بمعنى الميل، والجذب، والخروج، والبعد، والانحسار[1]. يكون النزع بمعنى الميل، فينزع الرجل إلى أباه إذا مال إليه وشابهه. ويكون النزع بمعنى الجذب، قال الله تعالى:﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾الطور23 فيتنازعون أي يتعاطون والأصل يتجاذبون[2]. والنزع بمعنى الخروج والبعد، والنزع بمعنى الانحسار[3]. وبذلك فإنّ النوازع جمع نازع، وهو كل ما مال بالشيء وجذبه بعيدًا.

وورد في كتب اللغة بأنّ النَّفْس الدمُ والنَّفْس الجَسَد والنفس الروح، ويعبر عن النَّفْس بالإنسان جميعه كقولهم: عندي ثلاثة أَنْفُسٍ[4].عن ابنِ عَبّاس أَنَّهُ قالَ:"في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك"[5].

يقول السُّهَيْليُّ في "الرَّوْض": "وإنّمَا الفَرْقُ بينَهما-النفس والروح- بالاعْتبَارَاتِ... واللهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ وجَعَلَ فِيه نَفْساً ورُوحاً فمن الرُّوحِ عَفَافُه وفَهْمُه وحِلْمُه وسَخاؤه ووَفَاؤه ومِن النَّفْسِ شَهْوَتُه وطَيْشُه وسَفَهُه وغَضَبُه فلا يُقَالُ في النَّفْسِ هي الرُّوحَ عَلى الإطْلاق"[6]. والتفريق بين النفس والروح ليس أمرا سهلا على الإطلاق، وهو أمر يحتاج لدراسات موسعة لا يتسع لها المقام هنا، ويعدّ الإمام الغزالي من أبرز من تحدثوا عن تلك الفروق.

ونوازع النفس هي قوى داخلية في الإنسان، تتحكم به وتسيطر عليه في محاولة منها لاجتذابه والميل به عن فطرته السليمة التي فُطر عليها. وقد عرّف علماء النفس النوازع على أنّها ميول (Tendencies) وهي طاقة داخلية المنشأ تدفع العضوية إلى تنفيذ عمل معين، وتستعمل بمعنى الحاجات، والشهوات، والغرائز، والنزعات، ويمكن أن تقول بأنّها توجّه تلقائي لعدد معيّن من الحاجات نحو أشياء تؤمّن لها الإشباع[7]. والنزعة في أوسع مجالاتها تكون ميولاً في الحياة النفسية، تُعدّ الأشد غموضًا في علم النفس، ولذلك يعكف علماء النفس على دراسة تمظهراتها أكثر مما يدرسونها في ذاتها[8]. والنزوع هو ميل الإنسان إلى تحقيق الذات من وجهة نظر الشخص ذاته، فهناك نوازع لا يقبلها المجتمع ولا يرضاها، وإن كانت تحقق ذات الشخص، فهو يحاربها ويقمعها لما فيها من شر[9].

و قد خلق الله ﷻ الإنسان وفطره على الخير وإن كان للطين أثره من بعث بوادر الشر، فلما كان الخير هو الأصل والشر فرع، فالإنسان صريع فطرته ونفسه التي تنزع به عن الفطرة. إذ تحرك غرائزه لتنطلق بها بعيدًا عما فطرت عليه. فتكون الأخلاق بذلك غرائز كامنة تظهر بالاختيار وتقهر بالاضطرار وللنفس أخلاق تحدث عنها بالطبع، وأفعال تصدر عنها بالإرادة[10]

وحظيت النفس في القرآن الكريم بأربع حالات هي: النزغ، والوسوسة، والتسويل، والأمر بالسوء. يقول الله تعالى في النزغ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيم}الأعراف 201 والنزغ "أن تنزغ بين قوم فتحمل بعضهم على بعض بفساد بينهم"(11)، وأصل النزغ الفساد، والنزغ الإغواء

والإغراء[12]. ويقارب النزغ الوسوسة والنغز والنخس، وهو"أدنى حركة تكون ومن الشيطان أدنى وسوسة"[13]. وهو من مراحل الوسوسة والتسويل. والشيطان ينزغ بينهم أي يفسد ويهيج الشر والمراء[14].قال الألوسي: هو "أول الوسوسة"[15].

والوسوسة مصدر من وسوس وسواسًا إذا وسوست له نفسه فهي تحدثه بصوت خفي[16]، وقد أمر الله عباده بأن يستعيذوا من الوسواس فيقول: {مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ}الناس4. وذلك لأنّ الوسواس هو ذات الموسوس. ويشمل الشياطين التي تلقي في أنفس الناس الخواطر الشريرة[17].

والتسويل لغةً: التزيين والتحسين، وتحبيب الإنسان إلى فعل شيء ما أو قوله، وهو من السول والسوال أي السؤال[18]. و"التسويل هو تزيين النفس لما حرص عليه القبيح منه بصورة الحسن"... والتسويل "تفعيل من السول وهو أمنية يتمناها فتزين لطالبها الباطل وغيره من غرور الدنيا"[19]. وقد يأتي التسويل على صورة التطويع كما في قولهﷻ:{فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ}المائدة30 فطوعت بمعنى سولت.

أما الأمر بالسوء فلا شكّ أنّ النفس السوالة هي نفس أمارة ولكنّ أمرها لا يكون مباشرًا منفرًا، بل بوسائل خبيثة غير مكشوفة، والأمر بالسوء هو فعل متداخل وبدرجة كبيرة مع التسويل، إذ تسعى النفس في البداية للتسويل حتى تضمن سيطرتها على الشخصية المرادة ومن ثمّ تبدأ بالأمر. قال البيضاوي في ذلك قائلاً: "إنّ النفس لأمارة بالسوء من حيث إنّها بالطبع مائلة إلى الشهوات، فتهم بها، وتستعمل القوى والجوارح في أثرها كل الأوقات"[20]. ويتفق معه الشوكاني في تفسير: "إنّ النفس لأمارة بالسوء" يوسف53 أي أنّ هذا الجنس من الأنفس البشرية شأنه الأمر بالسوء لميله إلى الشهوات، وتأثيرها بالطبع، وصعوبة قهرها، وكفها عن ذلك"[21]. وهناك أحوال أخرى يمكن أن ترتبط بوصف النفس في القرآن، منها: هوى النفس، والفجور، والتزكية، والتدسية... ولعل أحوال النفس في القرآن تحتاج إلى دراسة مستقلة تستعرض المعاني والمواقف.

ويتناول البحث نوازع النفس في القرآن الكريم مقسمة إلى نوازع عقلية تُعنى بكل ما ينزع بعقل الإنسان وعقيدته عن الإيمان والتصديق، منها: نوازع الكفر، والشرك، والنفاق، والتحايل، والاستعجال، والشّك. ثمّ نوازع النفس الانفعالية، التي تعترض انفعالات الإنسان السليمة، وتنزع بها إلى الانحراف كالتّكبر، والحسد، والغرور، والغضب. وينتهي البحث بنوازع النفس الفاعلية أو السلوكية، وهي التي تظهر في سلوك الإنسان، منها: الشذوذ الجنسي، والشهوانية، والاستبداد المالي. والتقسيم هنا يعتمد على ماهية النزعة، ومدى ارتباطها الأكثر بروزاً بالعقل أو العاطفة أو السلوك، واجتهد البحث في رصد تلك النوازع قدر ما يستطيع، وفي التمثيل لها بمواطن متعددة قدر الإمكان.

أولاً: نوازع النفس العقلية

نوازع النفس العقلية هي ما قامت به نفس الإنسان من محاولات تسعى فيها إلى إقصاء الإنسان عمّا جبل عليه من الإيمان الصادق السليم، والتسليم بالعقيدة الدينية وكل ما يندرج تحتها من أمور عقدية. من تلك النوازع:

1. التحايل: ظهرت نزعة التحايل عند أصحاب السبت، وقد ذكر الله ﷻ قصة هؤلاء القوم في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم هي البقرة والنساء وفصل القصة بأربع آيات في سورة الأعراف. وقد تراءت نزعة التحايل هنا من خلال إشارات بينها المفسرون من خلال الأثر[22].

يقول الله ﷻ: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۞ وَإِذ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۞ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ۞ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ}الأعراف 163- 166

رسم الله ﷻ التحايل والخداع في كتابه العزيز في قصة أصحاب السبت، وهم جماعة من اليهود سكنوا قرية يقال لها إيلة على شاطئ بحر القلزم[23]. وكانوا قد طلبوا من الله ﷻ أن يجعل لهم يومًا يعتكفون فيه لعبادته، ففرض الله ﷻ عليهم يوم الجمعة، فخالفوه، وعصوا أمره، ولزموا السبت، فعظموه، وأقاموا فيه ما أرادوا من الشعائر، وتركوا ما أمرهم الله به، فلمّا أبوا إلا لزوم السبت ابتلاهم الله فيه فحرّم عليهم ما أحل لهم في غيره[24]. قال ﷻ:﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}النحل124

تبدأ القصة بأن أمر الله الحيتان أن تأتيهم يوم السبت مشرعة فوق الأمواج، فإذا ما ذهب السبت ذهبت ولم تعد حتى عجزوا عن اصطيادها، وقد حرّم عليهم اصطيادها يوم السبت، فما كان منهم إذا ضاق عليهم الأمر إلا أن تحايلوا على أمر الله بأن حفروا الحفر، وشقوا الأنهار قبل يوم السبت فإذا جاءت الحيتان يوم السبت حُبست فيها، فإذا ذهب السبت ذهبوا لأخذ ما احتبس من الحيتان في حفرهم، فانقسم أهل القرية لذلك إلى ثلاث فرق؛ فريق يحتال فيصطاد، وفريق ينهى عن ذلك، وفريق لا يصطاد ولا ينهى، وقد خرجت الفئة الناهية من القرية خوفًا من عذاب الله الذي لم يمهل الفئة الباغية كثيرًا حتى مسخهم الله قردة خاسئين[25].

تقابل القصةُ المتلقي بالعنوان "أصحاب السبت" بوصفه علامة مكونة من علاقة قائمة ما بين دالين منفصلين هما "أصحاب" و"السبت"، وتعلم أنّ العنوان إنما هو المدخل الرئيس للنص، والذي يقوم بأداء وظائف متعددة للنص، منها الإغراء، والتعيين، والتوصيف،[26] يقول رولان بارت: "العنوان هو نظام دلالي سيميولوجي يحمل في طياته قيماً أخلاقية واجتماعية وأيدولوجية".[27] كما أنّ العنوان من أهم العناصر المكونة للنص الأدبي، وهو سلطة النص وواجهته الإعلامية، وهو الجزء الدال منه، يساهم في تفسيره، وفك غموضه.[28].

يمثّل عنوان "أصحاب السبت" ارتباط لدالين يحملان ما يمكن أن يحملاه من معاني الارتباط والصحبة والاجتماع والبداية الجديدة لعهد جديد، فكلٍ من (أصحاب/السبت) مفردتان لا تضاد بينهما بل تكامل واتحاد إذ الصحبة بداية عهد جديد، واتفاق وارتباط، وحياة، وإلى جانب ذلك السبت بداية الأسبوع، و مستقبل، وحياة جديدة، وتطلعات ورجاء.

ولكن هذه التكاملات التي أوجدتها العلامة الافتتاحية للقصة لم تلبث أن تكشفت عن حقيقة هذا الارتباط، وهذا العهد الجديد وهذه الصحبة، بما جاء من أحداث أنتجتها تضادات متناثرة بين عناصر القصة، وأحداثها التي نسجتها قوة مهيمنة في داخل نفوس الشخصيات، هي نزعة التحايل التي كونت ثنائيات من العلاقات المختلفة منها صحبة أهل القرية واجتماعهم/صحبة العاصين وتآمرهم، فهذا التحول في الحال من الطاعة إلى العصيان يبرز التضاد في الحال، (توحد أهل القرية/انقسامهم إلى ثلاث فرق)، و(تحول من الجماعة الواحدة إلى الفرق المتعددة)، و(حياة آمنة مطمئنة/نهاية مؤلمة ومسخ)، و(بشر/قردة)، هذه التحولات لا تزيد قارئها إلا نفورًا وازدراءً لحال هؤلاء الأصحاب، وتجنبًا لما من شأنه أن يؤدي إلى المصير نفسه.

وفي داخل النص تبدأ دوائر العلامات بما فيها من تداولات لأنساق تحمل دلالات ذهنية؛ فالسبت عند أهل القرية بما يُفترض أنْ يمثله من الانصياع لأمر الله، إنما هو علامة تحمل دلالة ذهنية معاكسة تمامًا لما يفترض أن تكون عليه؛ حيث يعني السبت لديهم بداية عهد جديد من التحايل والخداع، لا صيد ولا أكل ولا بيع للحيتان في ذلك اليوم، وإنّما هو تحايل، نصب شباك وشق أنهار، وحفر الحفر، في استقبال هذا اليوم، السبت الذي يعلنون فيه الامتثال لأمر الله، فيه الطهارة والنقاء الظاهري والشكلي، وفي المقابل تحيك نفوسهم الشريرة من الخداع والمكائد بما يتحايلون فيه على ما حرم الله ليجعلوه حلالاً، فهذه العلامات تحمل تكسيرًا لمعانٍ مفترضة تحملها ذات السبت لتنقلب إلى ضدها وفق نزعتهم الدنيئة.

مثّلت نزعة التحايل في أصحابها نقطة ارتكاز انقلبت الأحداث من خلالها، لتجعل السبت بدلاً من كونه بداية عهد جديد وطهارة وعبادة وتقرب من الله، إلى نهاية مؤلمة تنطلق من خلالها وعلى أنقاضها بداية الشر بالتحايل والخداع والابتعاد عن شرع الله، تجعل من بعض الشخصيات وهم العاصون شخصيات لامعة رئيسة تستحوذ على ظاهر النص، وهي ما يسميه غريماس بالفواعل السردية الرئيسة[29].

تقف إلى جانب هذه الشخصيات الرئيسة عوامل مرسلة ومساندة لإثارة هذه النزعة، حيث تقف النفس الأمارة بالسوء في داخلهم تبث فيهم شهوة صيد الحيتان وأكلها، وفي المقابل تأتيهم الحيتان شرعًا يوم السبت فتزداد النفس الأمارة بالسوء تزيينا لنزعة التحايل، ودفعًا لها حتى تستحوذ على عقل أصحابها وتفرض نفسها بطمس ما من شأنه أن يعيقها، فأغلقوا عقولهم عن إدراك نتيجة ما يفعلون، وإن كانت حجتهم في ذلك "إنما لا نصطاد يوم السبت".

اشتملت القصة على مجموعة من المتتاليات الحكائية الوظيفية، أي مجموعة من الأدوار الفاعلية التي تكونت نتيجة تحريك النزعة للفواعل السردية الرئيسة وغير الرئيسة، حيث تظهر سلسلة من الوظائف هي:

عصيان وتمرد ← تحايل وخداع ← نهي عن المعصية ← تمادي في العصيان
مسخ وعقاب ←

احتلت نزعة التحايل موقع الفكرة الرئيسة للقصة، اختارت الشخصيات ودفعت الأحداث فتكونت بعض العلاقات (أمر النفس السوالة بالصيد/نهي الفئة الناهية عن الصيد)، و(شهوة صيد الحيتان/ذل العذاب)، و(فرقة تنهى عن المنكر/فرقة لا تنهى)، و(رحيل من القرية/إصرار على العصيان)، و(نجاة/عذاب)، هذه الاختلافات ما بين العلاقات القائمة ولدت صراعًا داخليًا ممتدًا داخل الأحداث ما زال يشتد ويتعقد حتى انفرجت العقدة بالحل وهو المسخ والعذاب البئيس.

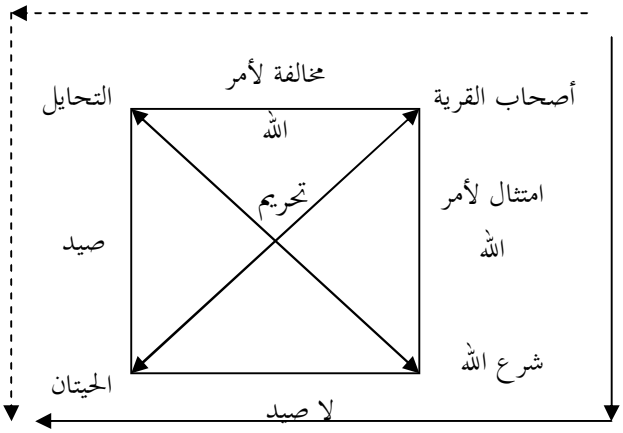

يظهر مربع غريماس أنّ الطريق من أصحاب السبت إلى الحيتان وفق شرع الله يعني أنهم لن يصطادوا الحيتان لما في ذلك من ابتلاء من الله ﷻ لهم، بينما الفئة الباغية منهم والتي ستسلك الطريق المعاكس -المتقطع- ستصطاد الحيتان ولكن بالتحايل بعيدًا عن شرع الله. وبذلك فإن العلاقات التي نشأت بين عناصر المربع السابق هي مجموعة من الأدوار والوظائف العاملية التي يوضحها الشكل التالي:

شهوة الصيد ← الحيتان ← الفئة الباغية
↑
النفس الأمارة بالسوء ← التحايل ← شرع الله - الفئة الناهية[30]

اختزلت الآيات الأحداث في حدث واحد هو الاعتداء، وتمّ إخفاء باقي الأحداث، للدلالة على أنّ نزعة التحايل هي فعل خفي متوارٍ عن الأنظار لما فيه من معصية، فهو خفاء في الأداء، وخفاء في الكسب، وإنكار للفعل؛ وكل هذه الأمور كانت من بلاغة القرآن وإعجازه أن يوافقها بخفاء في الأحداث التي تكشف وظائف الشخصيات المنكرة بأفعالهم السيئة.

2. العناد: قال البغوي في تفسير قوله ﷻ:{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ}البقرة6 "كفر العناد هو: أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به"[41]، وبذلك فالعناد هو معرفة السليم ومخالفته لا لشيء ولكن للمخالفة والخصومة، والمحاولة في إثبات الذات والخروج عن قيود الآخرين وسيطرتهم. و"العناد سلوك موجود عند الناس بنسب متفاوتة يبدأ من الإصرار على الموقف ويتفاقم إلى درجات أعلى"[42].

العناد في قصة نوح عليه السلام: ظهر العناد كمدلول في قصة نوح عليه السلام نتيجة ارتباط بعض الدوال الرامية إليه من شخصيات وأحداث وملفوظات، وقد حمل هذه النزعة قوم نوح عليه السلام حين انغلقوا على أنفسهم وما كانوا يعبدون من الأوثان، وأغلقوا على سيدنا نوح عليه السلام كل أبواب الدعوة، وقد مكث يدعوهم حقبة كبيرة من الزمن قال الله ﷻ:{ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً}العنكبوت 14.

نسجت قصة نوح من العديد من الأحداث، وقد برزت نزعة العناد عند قومه في علاقات الأحداث التالية ببعضها: (تنوع أساليب الدعوة، وتنوع أوقاتها، وكثرة الأدلة والحجج على وجود الله ووجوب عبادته، والإغراء بالجزاء والتحذير بالعقاب والعذاب)، هذه الأحداث التي تتحد فيما بينها بعلاقات ترابطية بنائية لتوضح مدى ما بذله نوح في إقناع قومه.

تتحد عناصر صورة أخرى في المقابل لتظهر رفض دعوته من قومه من خلال: (فرارهم من الدعوة، وإغلاقهم آذانهم، واستغشائهم ثيابهم، وإصرارهم واستكبارهم على الدعوة والمؤمنين، ومكرهم واتّباعهم سادتهم، والتمسك بأصنامهم وعبادتها)، هذه الأحداث التي ترابطت مع بعضها لتبني صورة إصرارهم على رفض الدعوة، وفي مقابلها صورة ترسم إصرار نوح على توصيل رسالته، ودعوة قومه مع عدم الفصل بين الصورتين لما فيهما من تداخل كبير يظهر من خلالها وبشكل جلي مدى العناد الذي تتصف به هذه الفئة من الناس.

شخصية قوم نوح هي شخصية القصة "الفاعلية" والتي يتوجب فيها الكفاءة لحمل المخطط السردي[43] من نزعة العناد وظهورها في أفعال الشخصية وأقوالها، وتواجد الكفاءة عندها بإصرارها على عبادة الأوثان، يجعل منها شخصية قادرة على تحريك الأحداث بامتلاكها لنزعة العناد، ومن ثم أداء الأدوار الفاعلية التي تعكس هذه الصفة.

لا شكّ في أنّ نزعة العناد التي تسترت خلف ملفوظات القصة تكشف عنها علاقات التضمن والتناقض والتضاد التي جعلها غريماس محور مربعه السيميائي، وتفصيلها كالتالي:

علاقة التضمن هي الاتفاق والترابط ما بين بعض الدوال المرتبطة بالشخصية حاملة النزعة وهم قوم نوح، من خلال ما صدر عنهم من أعمال وأحداث سبق ذكرها، ونفس الترابط والتضمن في العلاقات الناشئة بين الأعمال والأحداث التي صدرت عن نوح عليه السلام في دعوته وقد سبق سردها، إذ تجتمع عناصر الصورة وترتبط في اتساق وتناغم.

علاقة التضاد هي العلاقة المعاكسة بين مفردات القصة، فملفوظات الفعل التي تصف حال قوم نوح بأعمالهم تضادها على التوازي ملفوظات الفعل التي تصف حال نوح بإصراره في تبليغ دعوته، فترى إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي/ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً، كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ/ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ، فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ/ أَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارا، يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ/ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ، إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارا/ اتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً، اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ/ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ.

علاقة التناقض التي تظهر التناقض التام في الاتجاه فكلما ازدادت سبل الدعوة عند سيدنا نوح عليه السلام ازداد عناد قومه وإصرارهم على رفض دعوته ونبذها.

يوضّح مربع غريماس العلاقات الثلاثة كالتالي:

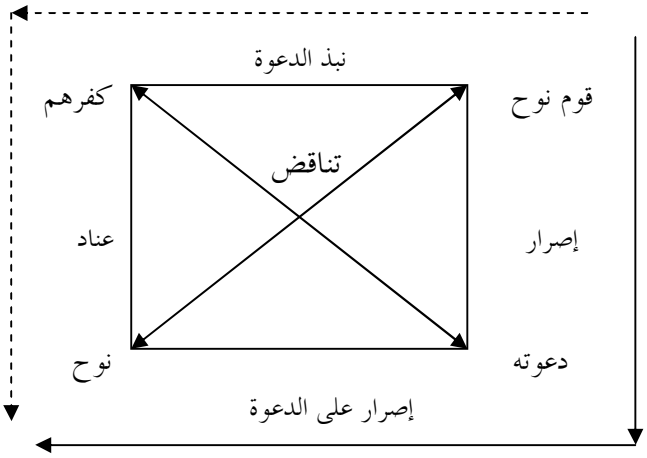

وقد شكلت العلاقات الثلاثة مفاصل الربط بين عناصر القصة لتظهر من خلالها نزعة العناد، علمًا بأن من بين هذه العلاقات استمرار الدعوة مدة ألف سنة إلا خمسين، وتنوع أشكال الدعوة وأوقاتها، تنوع أعمال الكافرين في رفضها، ابتعاد السرد عن أقوال للمعاندين باستثناء قولهم (لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ) وبقاءهم كشخصية غائبة، يجعل من هذه العلاقات شبكة مترابطة الدوال لتعطي مدلولاً عن انغلاقهم على أنفسهم، فالعناد الذي يوحي بالشدة والتقوقع والانغلاق قد رسمته هذه العلاقات في شخصية هؤلاء القوم بما منحته لشخصيتهم المنغلقة من ملامح مخفية وسلوك وأقوال توحي بالانغلاق، من ذلك يمكن استنباط أن أيّة فكرة يمكن أن يحملها المخطط السردي ممثلاً في شخصياته وأحداثه لا بدّ وأن تكون الشخصيات والأحداث تتحرك بصفات وسلوكيات مساندة لملامح هذه الفكرة(34).

3. الجحود: لغةً: الجَحْدُ والجُحُود نقيض الإقرار، والجُحودُ إنكار الشيء مع العلم به(35). وهو نزعة تسعى لإنكار فضائل الله ﷻ، وإنكار وجوده في التيقن بنقيض ذلك، ووجود الدلائل لديهم.

الجحود في قصة ثمود قوم صالح: قال تعالى في قصة ثمود قوم صالح ﷺ:{ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ۞ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا بِالَّذِيَ آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ }الأعراف75-77

تتواجد نزعة الجحود في قصة ثمود هذه المرة في مسرح الأحداث بعيدًا عن الفكرة أو الشخصيات، وكأنّها خيوط الحبكة التي تلف الأحداث ببعضها حول الشخصيات في ترابط وتسلسل يضمن لها بالغ التأثير، حيث تنبثق دوالها من الحدث الأول ولا تزال تتوالى تبعًا لها الأحداث حتى تحكم هذه النزعة الصراع وتعمل على تعقيده إلى أبعد الحدود، ثمّ تنفرج بعد ذلك عن الحل وهي ما زالت محرك الأحداث ودافعها.

الجحود بما أنّه إنكار مع العلم، فإنّ القصة قد بدأت أحداثها بالإعلام حيث يقول صالح ﷺ:} يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا {هود61 ثمّ قال:}أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ۞ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ {الشعراء 146- 148 حيث يزداد العلم ويصبح واقعًا ملموسًا بعد أن كان أمرًا معقولاً، ولكن مع ازدياد الإنكار والجحود بهذه الدلائل على وجود الله ووحدانيته، وفي نهاية الأحداث تكون الناقة التي تخرج من بطن الجبل أمام أعينهم، يقول تعالى:}هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً{الأعراف 73 وقال:} وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً{الإسراء 59.

المشهد الأول بدأت بوادر الأحداث بالتجاهل التام لما منّ الله به عليهم من نعم كثيرة، ورغم ذلك فهم ينكرون وجوده بعبادة غيره من الآلهة التي صنعوها بأيديهم.

المشهد الثاني تنتقل بعد ذلك الأحداث فيه من مرحلة الإنكار إلى مرحلة النفي والجدال، حيث يقدم صالح ﷺ آيات أخرى ملموسة من واقعهم الذي ينعمون فيه ويشعرون بلذته من الزروع والماء والثمار واستعمارهم الجبال بقوة أبدانهم، إلا أنّهم ينفون أن يكون ذلك من رب صالح الذي يدعوهم إليه فيقولون له:} إِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ {هود 62 فقال الله ﷻ عنهم:} كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ{القمر 23 وجحودهم في هذه المرحلة من الأحداث لم يتوقف على النفي لوجود الله وإفراد العبادة له، بل تعداه إلى الجدال في ذلك الأمر حيث قالوا:}أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ {هود 62 وفي هذه المرحلة يزداد توتر الأحداث، إذ تصبح العلاقة بين الشخصيات أقوى والمواجهة أشد، وتناقض الأفكار والاتجاهات يجعل من الأحداث الدائرة بينهم صراعًا ناميًا يزداد بازدياد المواجهة.

المشهد الثالث تتنامي وتتوتر فيه الأحداث بحدة تصاعد الصراع حينما يبدأ قوم ثمود بمطالب تعجيزية. وتظهر الأحداث في المشاهد السابقة بنموها وتطورها موزعة في القصة تترابط فيما بينها بعلاقات الترابط والتناقض والتضاد.

فأمّا علاقة الترابط فتظهر في تسلسل الأحداث ونموها من بداية الأحداث إلى نهايتها، في انسجام واتّساق يوضح صورة الشخصيات حاملة نزعة الجحود، إذ يتغاضون وينفون ويكذبون ويتهكمون ويسخرون، ثمّ يقترفون الإثم.

علاقة التناقض يظهر التناقض ما بين كثرة الأدلة والبراهين الداعية إلى توحيد الله، والمتنوعة ما بين عقلية مجردة ومادية محسوسة، وبين الجحود الذي قوبلت به هذه الأدلة.

علاقة التضاد التي برزت بشكل واضح بين مفردات القصة، فبادرة التضاد تبدأ من بداية القصة، يظهر التضاد في (وحدانية الله/ التي قابلوها بشركهم، إرسال الله نوح لهم/ تكذيبهم إياه ونعته بالمسحرَ، إرسال الناقة معجزة ظاهرة/ عقرها وإذهاب دلالتها على وجود الخالق).

عبّر القرآن عن العلاقات السابقة بملفوظات حكائية متنوعة ما بين ملفوظات الفعل المتمثلة في التكذيب والاتهام والجدال والقتل، وملفوظات الحالة والتي غلب عليها لفظ التكذيب، قال تعالى:} كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ{الشعراء 141 والكفر:} أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْداً لِّثَمُودَ{هود 68 ثمّ الظلم:} وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا {الإسراء 59 وأخيراً العمى وهو عدم إمكانية الرؤية مع وجود الشيء على أرض الواقع قال:﴿ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى ﴾فصلت 17.

يظهر المنهج العاملي لغريماس ملامح خط سير مستقيم للأحداث للكشف كالتالي:

إله واحد ← خلق واستخلاف ← نعم كثيرة ومياه وجنات ← معجزة ملموسة

تكذيب ← كفر ← عمى ← جحود

هذا التوازي في الأحداث يظهر تنامي نزعة الجحود في القصة وتسلسل أحداثها، وكأنّ هذه الدلائل والمعجزات التي تدفع بالإنسان إلى التوحيد والعبادة، يدفعها الجحود بعيدًا بصور متعددة ومتفاوتة القوة ومتدرجة تبدأ من كذب، ثم كفر، ثم عمى، ثم ظلم. ويحاول المربع السيميائي لغريماس أن يظهر بروز النزعة من خلال الأحداث كالتالي:

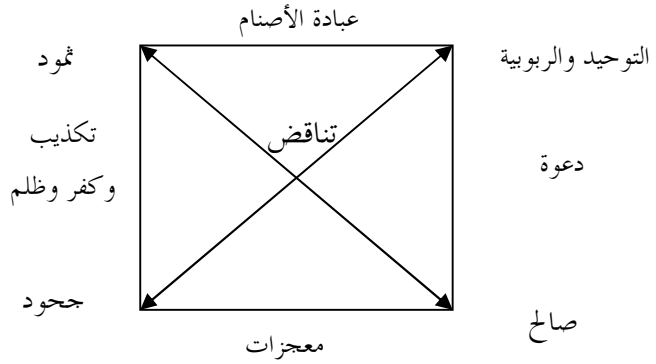

وقف عنصر الزمان في القصة يعاضد العلاقات المختلفة في كشف نزعة الجحود إذ قال تعالى:{تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ }هود 65 إذ تناسب العدد ثلاثة مع ما حدث من قوم ثمود من تطورات

لنزعة الجحود داخل القصة: علم وكفر + دعوة وتكذيب + معجزة وجحود، إلى جانب أن نزعة الجحود داخل أنفسهم قد مرت بثلاث مراحل قبل أن تتضح وهي: كذب- كفر- ظلم، لذلك كان العقاب والعذاب الذي كتبه الله عليهم مناسبًا لما قاموا به من أعمال.

ويقف المكان ليحمل دلائل الجحود في مكوناته فقوم ثمود هم أهل الحجر:{ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ }الحجر 80 بما فيه من صلابة وجحود لنعم الله، فمهما نزل عليه من ماء فما لها أن تخترقه بل يتركها تنساب من فوقه دون أن يتأثر بها، فقوم ثمود مهما قدمت لهم آيات فإنّها لا تدخل عقولهم بل ينغلقون على فكرهم مع علمهم بصحة ما يقدم إليهم من أدلة.

4. الاستعجال: قال الله ﷻ:{وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا}الإسراء 11و قال الله ﷻ:﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ}الأنبياء 37 وقد "خلق الله آدم بعد كل شيء من آخر النهار...قال:يا رب، استعجل بخلقي قبل غروب الشمس"[36]. والعجلة من طبيعة الإنسان، والمسلم يغلب عليه الحلم والأناة والتؤدة. وصاحب الفكر المتعجّل سريع التّقلّب؛ فبينما تجده على فكرة وموقف يتبناه ويدافع عنه، تجده بعد فترة يتبنّى ما يناقض الفكرة الأولى لتأثّره المتسرّع بطرح جديد من وجهة أخرى[37].

الاستعجال في قصة طالوت وجالوت: قال ﷻ:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ}البقرة 246

تبرز النزعة هنا بوصفها ملمح من ملامح البناء الداخلي للشخصية الرئيسة الفاعلة في القصة، يستطيع المتلقي تعرّفها من خلال استعجالهم القتال في بداية القصة يقول ﷻ:{إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا}البقرة 246 فظاهر الآية يوحي بأنّهم كانوا يعلمون بأنّ هناك قتالاً إلا أنّهم استعجلوا ذلك بفكرهم وقولهم كما يظهر من تعقيبهم على كلام نبيهم:{وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ}البقرة 246

تظهر نزعة الاستعجال المضادة للتروي في أربعة مواضع من القصة، الأول عند سؤالهم عن القتال واستعجالهم إياه وهم يعلمون أنّهم سيقاتلون{ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الثاني توليهم عن القتال بعد فرضه عليهم لاستعجالهم الراحة{فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾ الثالث استعجالهم شرب الماء من النهر وعدم الانصياع لأمر ملكهم{فَشَرِبُوا مِنْهُ}الرابع حكمهم بالعجز على أنفسهم قبل بدء المعركة مع جالوت{قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ}وذلك لأنّ "صاحب الفكر المتسرّع سريع الحكم على الناس"[38].

عبّر عنها القرآن عن نزعة الاستعجال في عدد من الملفوظات الحكائية، غير أنّها اقتصرت على ملفوظات الفعل دون ملفوظات الحالة، وهذه الملفوظات قولية وأدائية غير أنّ القولية{ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، {وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ{سبقت الأدائية} تَوَلَّوْا﴾، {فَشَرِبُوا}وزادت عنها كإشارة إلى أنّ النفس الإنسانية في الواقع يسبق قولها فعلها.

5. الشّك: ينتج الشّك عن قصور في الإدراك المجرّد يسميه البعض "ضيق الأفق أو قصر النظر" ويعنون به "ضعف أو خلل في البصيرة يؤدي إلى حصر التفكير أو الرؤية في حدود ضيقة لا تتجاوز المكان والزمان"[39].

الشكّ في قصة العزير: قال الله ﷻ:{أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}االبقرة 259

الشّك هو الفكرة التي دارت حولها القصة، والأصل التسليم بقدرة الله على إحياء الموتى، ولكن وسوست النفس بالتعجب من قدرة الله -وإن لم يكفر بها- في إحيائه الموتى، فتمثلت الفكرة في مخطط سردي تحمله شخصية العزير الوحيدة الشخصية السردية الفاعلة في القصة، وربما كان ذلك كدلالة وإيحاء إلى أنّ القادر على كل شيء والمحيي للموتى هو إله واحد أحدبجانب ضرورة التسليم المفرد والإيمان الداخلي بالقدرة الإلهية.

ولبيان قدرة الله ﷻ التي حملتها القصة فقد تعددت الأحداث في القصة وتنامت بدءاً من مرور العزير بالقرية، ثمّ تأمله في القرية الخاوية مع وصفها الدقيق، ثمّ بعد ذلك حدث الموت إيقافًا للزمن عند العزيز، وسيرًا بهذا الزمن في عجلته على الدنيا لتتغير وتتبدل وفق إرادة الله ﷻ، ثمّ الحوار الذي دار بينه وبين الملك الذي سأله عن المدة التي لبثها، والدلائل العينية التي قدّمها له لإثبات قدرة الله ﷻ في إحياء الموتى بأن أحيا حماره أمامه، إذ تجمعت العظام ثمّ ترابطت وكُسيت باللحم لتُنفخ فيها الروح ويعود من جديد إلى الحياة، وفي هذه الدلائل البصرية الملموسة التي يحسها العزير بحواسه جميعها تأكيد له على ما كان يعقله من قدرة الله على إحياء الموتى، ولكنها النفس الأمارة بالسوء والتي وسوست حول كيفية قدرة الله على الإحياء، فكانت النهاية بالاعتراف بقدرة الله ﷻ على كل شيء وزجر النفس الأمارة بالسوء بقمع نوازعها.

يوضح مربع غريماس العلاقات المختلفة بين عناصر القصة كالتالي:

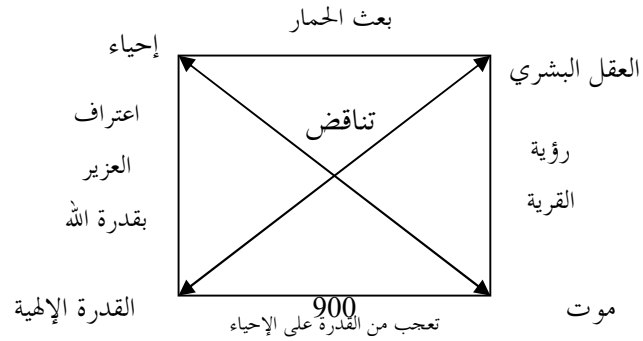

ترسم خيوط المربع السيميائي ملامح سير العلاقات في داخل القصة إذ تظهر أن العقل البشري القاصر هو في علاقة تغييب للقدرة على الإحياء، وهي علاقة تضاد بين الشواهد الميتة والحية أمام العزير. وفي الجانب الآخر من المربع تظهر القدرة الإلهية ممسكة بكلا الطرفين من موت وإحياء؛ تميت لتحيي فهي تنفي الموت المؤبد والعجز عن الإحياء، وتحقق الإحياء لهذا الموت بدلائل عقلية وحسية ماثلة أمام العزير. أما التناقض الذي تحدده أوتار المربع فهو تناقض الشكّ مع ثبات القدرة الإلهية، إلى جانب تناقض الإحياء مع الموت المحقق(40).

ثانيا: نوازع النفس الانفعالية

يأتي القسم الثاني من نوازع النفس، وهو مدخل النفس إلى الإنسان من باب شعوره ووجدانه، ظاهرًا في انفعالات النفس، وهي لا تنفصل عن العقل ولكنها تتمحور في الجانب الوجداني أكثر من تمركزها في العقل، فهي مرحلة ربما تكون تالية للتفكير العقلي.

1. التكبّر والكِبْر اصطلاحًا هو "الحالة التي يختص بها الإنسان من إعجابه بنفسه وذلك بأن يرى نفسه أكبر من غيره"(41).

يعتبر التكبر من النزعات النفسية الانفعالية الصادرة عن انفعالات النفس في أعماقها يقول الغزالي: "اعلم أن الكِبر ينقسم إلى باطن وظاهر فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح"(42)، وهو خلق ذميم نهى الإسلام عنه قال الله ﷻ في ذلك: {إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ}الأعراف40 فيظهر واضحًا في الآيات مدى العذاب المعدّ لمن تخطى حدود الله ﷻ ونازعه إحدى صفاته وهو المتكبر فوق عباده، ففيما روي عن رسول الله ﷺ "عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: العز إزاره والكبرياء ردائه فمن ينازعني عذبته"(43) والحديث عن الله ﷻ.

تكبر إبليس في قصة آدم عليه السلام: بدأت قصة آدم بخلق الله له، وقد خلقه من طين فكانت الملائكة تطوف به ولا تدرك كنهه، فيقول لهم إبليس: إنما هذا أجوف ولئن سلطت عليه لأهلكنه(44)، وقد بدأت الأحداث حينما أمر الله الملائكة أن تسجد لآدم، فقال ﷻ: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ}الحجر29 إذ سجد الملائكة كلهم واستكبر إبليس، يقول الله ﷻ: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين}البقرة34 ويسأله الله ﷻ عن امتناعه عن السجود فيرد بأنه خير منه لأنّه مخلوق من نار وآدم مخلوق من طين، يقول الله ﷻ: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ۞ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ}ص75-76.

سارت الأحداث طبيعية متوافقة مع الزمن في بداية القصة لكنها تسارعت لتناسب التوتر الحاد الذي تولده نزعة التكبر في نفس إبليس، وقد بلغت ذروتها بتمرده على أمر ربه. هذا التسارع في الأحداث غيّر

أنماط الشخصيات الموجودة، وقد تكثّفت الشخصيات في شخصيتي آدم وإبليس لتصبحا شخصيتين محوريتين تتمتعان باللمعان الفاعلي بين باقي الشخصيات. وقد أدى تكبّر إبليس على آدم ورفضه السجود له انشراخًا كبيرًا في الأحداث؛ حيث لم تقف نزعته النفسية السيئة على مجرد شعور بالعظمة والعلو على آدم، بل تعاظمت هذه النزعة عنده لتسيطر على فكره ولسانه وفعله، فها هو يجادل الله ﷻ ويفاضل نفسه على آدم، ويمتنع عن السجود، فهو يرى في داخل نفسه أنّه أسمى وأكرم مادةً من آدم[45].

تتمثل الشخصية الرئيسة صاحبة النزعة في القصة في إبليس، حيث نزعة التكبر عنده متموضعةً في قلب القصة، تلك الكفاءة التي تهم الفاعل السيميائي باعتباره فاعل الفعل. والفاعل يمر تباعاً على ثلاث صيغ مختلفة للوجود السيميائي: فاعل افتراضي (كامن) قبل بثّ الروح في آدم ⟵ فاعل موجود حينما جادل ربه في السجود لآدم ⟵ فاعل متحقق تتحقق عنده النزعة من خلال تمرده على أمر الله وعدم امتثاله لأمر السجود: ثلاث حالات سردية، الأولى منها مسبقة على اكتساب الكفاءة، والثانية تنتج عن هذا الاكتساب، والأخيرة تعين الفاعل وقد أنتج العمل الذي يصله بموضوع القيمة ويحقق هكذا مشروعه[46].

كان ذلك بالنسبة للشخصيات الفواعل السردية، أما بالنسبة لعناصر السرد ووظائفه فإن نزعة التكبر لم تظهر كدال في القصة إلا في قوله ﷻ: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾، بينما تمتد كمدلول من بداية القصة حتى آخر ملفوظاتها، وينهض في زواياه بأشكال متعددة، ليغدو هو الموضوعة المهيمنة، المختزلة للنص[47]، فيظهر ذلك من خلال عدة ملفوظات مثل: قول إبليس:{خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ} وقوله:﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾.

تقف بجانب هذه الملفوظات علاقات ثنائية من المتضادات التي تعمل على ربط شبكة العلامة من خلال وصل دوالها ببعضها مثل: الأرض (التي تدل على الدنو) / خليفة (التي تدل على التكريم والعلو)، يفسد فيها ويسفك الدماء/ نسبح بحمدك ونقدس لك، تبدون (من الامتثال والطاعة) / تكتمون (من التكبر والتعالي عند إبليس)، نفخت فيه من روحي (بما فيها من تكريم)/ فقعوا له ساجدين(بما فيها من إذلال)، نار/ طين، الجنة/ الأرض. وبذلك تم رسم نزعة التكبر بمستوياتها في جوانب شخصية الفاعل السردي المحقق للنزعة، وعناصر السرد الأخرى[48].

2. الحسد: يعدّ الحسد من طبائع البشر(49). وهو "فرع من فروع الأنانية يشبه الغيرة من زاوية شعور الغيران(كذا) وإحساسه، ولكنه يختلف عنها جذريًا في أنّه موجّه لضرر المحسود دون أن يكون هناك شعور واعٍ بأيّة فائدة تعود على الحاسد"(50). يقول الغزالي: "اعلم أن الحسد أيضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب... ثم إن للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى"(51).

والحسد "حقيقة واقعة، وأثره لا شكّ فيه، وأصله انفعال نفس الحاسد عند رؤية المحسود انفعالاً شريرًا يدفعه إلى مباشرة أسباب المضرة، سواء أكان ذلك في حضور المحسود أم في غيبته"[52]. والحسد "مصروف إلى الضرر، لأنّ غايته أن يعدم الأفاضل فضلهم"[53].

الحسد في قصة ابني آدم عليه السلام: يقول ﷻ:﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ۝ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ۝ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ۝ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ۝ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾المائدة27-31

تقوم قصة ابني آدم على فكرة رئيسة هي الحسد، وهي النزعة السيئة التي ظهرت في نفس الأخ الشرير بعد أن قدّم هو وأخوه قربانًا، فتقبل الله قربان أخيه ولم يتقبل قربانه، فاشتعلت في نفسه نزعة الحسد تحرقه وتعميه عن التفكير السليم[64]، وقد كانت قوية جدًا في نفسه حتى قال لأخيه: لأقتلنك، مع ما فيها من مؤكدات تظهر الحالة النفسية والإصرار الذي تواجد في نفسه.

أدت نزعة الحسد التي مثلت الفكرة الرئيسة للقصة إلى بناء هيكل قصصي محدد العناصر، فكل عنصر من هذه العناصر رسمته النزعة بما يناسبها؛ فأوجدت شخصيتين فقط، أما بالنسبة للأحداث الأربعة التي قامت عليها القصة، فقد بنيت على نزعة الحسد منها تخرج وإليها تعود، في ترابط وتعقيد شديدين لإظهار مدى ما يعتمل في نفس الحاسد من غيرة وحقد على المحسود، وقد ولّد هذا التعقيد الشديد للأحداث صراعًا ناميًا معها تحمله العقدة مع الشخصيات في محاولة للخروج إلى الحل الذي انتهت به القصة، وهو القتل.

انحصرت الشخصيات في شخصيتي ابني آدم، والداعي إلى قصر القصة عليهما نزعة الحسد على أرض الواقع، ووفقًا للتفسير النفسي لا تتعدى هذه النزعة أكثر من جهتين حاسد ومحسود، فكانت لذلك شخصية الأخ الشرير الشخصية السردية الرئيسة أو ما يسمى بالفاعل العاملي الذي تتمحور الأحداث حوله فيحركها بما يصدر عنه من أقوال وأفعال، بينما مثّلت شخصية هابيل الشخصية المساندة أو الدافعة للفاعل العاملي.

نزعة الحسد التي نشأت عند قابيل استطاعت أن تكون مركزًا رئيسًا تُبنى عليه أحداث القصة، ولذلك تجدها قد وضعت خطًا متراتبًا للأحداث المتسلسلة والمتصلة ببعضها كالتالي:

تقديم القربان ⟵ قبول قربان هابيل ورفض قربان قابيل ⟵ تعليل قبول القربان بالتقوى ⟵ توعد قابيل هابيل بالقتل ⟵ محاولة هابيل هداية قابيل ⟵ قتل قابيل هابيل ⟵ تعليم الغرابان لقابيل ⟵ ندم قابيل.

والملاحظ في القصة أنّها قامت على ملفوظات الفعل ولم تقم على ملفوظات الحالة؛ فكل الأحداث المتمثلة في الوظائف الحكائية قد قامت على سرد لأحاسيس وأقوال وأفعال، تظهر كدوال مترابطة ومنسجمة مع بعضها لتشكيل علامة واضحة الدلالة على نزعة الحسد، بدءًا من قلب قابيل مرورًا بقوله وانتهاءً بفعله وما يترتب عليه، أما الحسد بلفظه فلم يذكر في القصة بتاتًا، وهذا من بدائع النّص القرآني

إذ تتناسب القصة سردًا مع فكرتها الرئيسة، فهي التي تحمل فكرة الحسد بما هو نتاج لتفاعلات الغيرة والحقد على الآخرين، بما يتمتعون به ثمّ الظهور بأفعال سيئة، وقد مثّلت القصة ذلك تمامًا بتفاعلات للأحداث تظهر من خلالها نزعة الحسد واضحة جلية.

وقد ارتبطت ملفوظات القصة ببعضها من خلال شبكة من العلاقات المختلفة التي تعمل على جذب بعضها وتنافر بعضها لتتضح معالم النزعة بوضوح بهذه العلاقات، ومنها ما تربطه ببعضه علاقات الترابط والتعاضد والتضمين مثل عدم قبول قربان قابيل، وتوعده لأخيه بالقتل ظاهرًا، وإصراره على وعيده باطنًا، متمثلاً في تجاوزه نصح أخيه له، تضافر الوصف مع التقرير في قوله فأصبح من الخاسرين، وقوله فأصبح من النادمين، مع التقرير بقول قابيل{يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي}وفي المقابل تجد هابيل يقبل قربانه، ثم يعلل بكونه من المتقين، ويأخذ دور الناصح الأمين، وتمسكه بالخشية من رب العالمين، مما يزيد من حسد قابيل له[55].

3. الغرور: الغُرور الباطل وما اغْتَرَرْتَ به من شيء فهو غَرُور، وغَرُرَ بنفسه وماله عرَّضهما للهَلَكَةِ [56]، والغُرُور: "الأَباطِيلُ كأَنَّهَا جمع غَرّ مصدر غَرَرْتُهُ غَرّاً."[57].ينشأ عند الإنسان كثير من العواطف المختلفة تسود إحداها مثل عاطفة اعتبار الذات، التي مركزها فكرة المرء عن نفسه، وتستثار عندما يشعر الفرد بالرضا عن نفسه إذا أتى أعمالاً تتفق وفكرته عن نفسه[58].

الغرور في قصة صاحب الجنتين: قال الله ﷻ في سورة الكهف:{وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۞ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا}الكهف35-36

غرور صاحب الجنتين نزعة نفسية ظهرت كملمح من ملامح الشخصية، جمعت في قصة صاحب الجنتين بين الصفات الداخلية والخارجية، وقد تمثلت في الفكرة الجوهرية التي دارت حولها القصة، التي حملتها شخصية صاحب الجنتين بوصفها مخططاً سردياً متمثلاً في ما صدر عنه من أقوال وأفعال برزت في حوادث رئيسة، وأخرى ثانوية دفعتها بما اكتسبته من كفاية سردية فكانت بذلك الشخصية السردية الفاعلة. والشخصية الفاعلة هي "شخصية قادرة على أداء المعنى المراد، وتوصيل المفهوم، أو المعنى بصورة صادقة وأقرب للحقيقة، هو شخصية حية في سلوكها وتصرفاتها وأهوائها واندفاعاتها وفكرها وعلاقاتها مع الشخصيات الأخرى"[59].

يظهر الغرور متناميًا في القصة عند صاحب الجنتين، بما مهدت له الآيات من ذكر السبب والداعي لمثل هذه الصفة، وهو امتلاك الأموال وكثرة البنين﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا}إلا أنّ صاحبهما في غمرة فرحه بما يملك تنزعه نفسه عن فطرته السليمة لتقوده إلى الاغترار بما ملك وما هو فيه من النعم، فيقف متباهيًا أمام صديقه قائلاً:{أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا}وقد نسي أن ينسب ما هو فيه إلى الله فيظهر في المشهد مفتخرًا بنفسه متفاضلاً على صديقه متعاليًا بما يملك.

ثمّ تتطور النزعة بعد ذلك ليتمادى صاحب الجنتين في غروره فينكر البعث والنشور ظانّاً أنّه سيخلد، وسيخلد له ماله وعزه، قال:{ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۞ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً}ثمّ إذا ما ذكّره صاحبه بربه قال:{وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا} وكأنّه ظنّ أنّه سيكون من أصحاب الجنان في الآخرة كما في الدنيا، فما كان فيه من غرور جعله في غياب عن وعي الفكر والقول، لا يقول بما يُوعى ولا يعي ما يقول.

وتظهر الشخصية السردية المساندة، وهي شخصية الرجل النصوح كما لو أنها مضادة، وربّما كان وجود شخصيتين في القصة، إحداهما تحمل نزعة الغرور، والأخرى تبين مساوئها، مما يجعل من الشخصيتين محوري ارتكاز تدور أحداث القصة حولهما، مظهرة بخيوطها المختلفة العلاقات ملامح هذه النزعة وأثرها على الشخصية السردية حاملة النزعة، وأثرها الفردي والجماعي على المجتمع، وإن كان المربع السيميائي يظهر خطوط هذه العلاقات كالتالي:

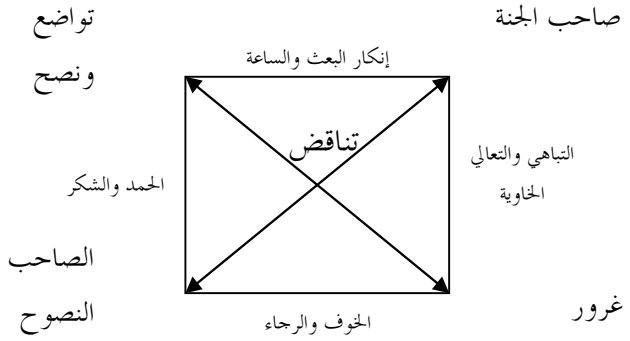

فيظهر المربع اتجاهين متناقضين الأول اتجاه صاحب الجنتين المغرور وغروره وإنكاره البعث، وفي المقابل صاحبه النصوح الذي يخاف الله، ويحمده على نعمه، وينسب الفضل له

ثالثاً: نوازع النفس الفاعلية

هي نوازع للنفس تتعدى عقل الإنسان وانفعالاته، وتظهر في سلوكه، إذ تسيطر نفسه عليه وتدفعه للقيام بأعمال تنطلق بها من الفطرة، ثمّ تميل بها إلى الضلال. من ذلك الشذوذ والشهوانية والاستبداد المالي.

1. الشذوذ: هو مصدر الفعل شذّ أي انفرد، و "شذ الرجل إذا انفرد عن أصحابه...ويقال أَشْذَذْتَ يا رجل إذا جاء بقول شاذٍّ نادٍّ"(60). والشذوذ الجنسي عند علماء النفس هو "ابتعاد عظيم وإلى حد اللامعقول عن الحدود الطبيعية"(61).

الرجل والمرأة عنصرا الحياة وأساس بقاء النوع الإنساني، وقد ركّب الله تعالى في كلّ منهما خصائص فيزيولوجية ونفسية معينة وأي تخلّف في أحدهما يؤدي إلى اضطراب وخلل ثمّ انحراف، والرجل منذ سنّ المراهقة يعاني من تأجج لواعج الجنس واضطرابه بين جنبيه، وثوران الطاقة، وقد يدفعه التنفيس عن الكبت إلى ارتكاب حماقات، أو تجاوزها إلى الشطط[62].

الشذوذ الجنسي في قصة قوم لوط: يقول الله ﷻ في قصة قوم لوط:{أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ۝ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ۝ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ۝ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ}الشعراء165-168 وقوله (مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ) "إيماء إلى الاستدلال بالصلاحية الفطرية لعمل على بطلان عمل يضاده لأنه مناف للفطرة. فهو من تغيير الشيطان وإفساده لسنة الخلق والتكوين"[63] لذا تظهر في القصة نزعة الشذوذ كنزوع عن الفطرة السليمة إلى سبيل الردى الذي خطته النفس بدفع الشيطان لها. ويعتبر شذوذ قوم لوط من أنواع الانحرافات الجنسية، وقد سمّاه علماء النفس بالجنسية المثلية، وتعني: "حالات الميل أو التوجه نحو إقامة علاقة ذات طابع جنسي بين ذكر وفرد آخر من جنسه"[64].

وقد ذكرت القصة في سورة الأعراف بتبيان حقيقة الفعل:{إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء} الأعراف81 وذُكرت في سورتي هود والنمل أيضاً.

تبدأ قصة لوط منطلقة من الفكرة التي حملتها من سوء فعل وعقابه، ومن شخصياتها بأدائها، والأحداث بتكاثفها وشدة ارتباطها واعتمادها على الحدث الرئيس كمركز للقصة. تأخذ الأحداث شكل الطابع التسلسلي في التدرج من فعل إلى آخر، وكأنّ الأحداث حدث واحد متنامٍ، فالحدث الأول الصغير وما قد يسميه القارئ بالحدث المولّد والحدث الدافع، وهو ما يُسمى بالحافز، وذلك لأنّ هذا الحدث هو مسبب الأحداث التالية له من بعده يقول الله ﷻ:{إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ}الأعراف81.

فهذا الاعتداء على خلق الله وإن كان برضا الطرفين فإنّه اعتداء على حدوده، أي أنّه اعتداء على الله ﷻ باقتراف محرماته وارتكاب المعاصي مما نهى عنه، وفعلهم يزداد ويتطاولون في ذلك ويسرفون في معصيتهم حتى تصبح مكشوفة علناً أمام الجميع، يعلم بها ويعرفها كل من يعرفهم[65].

وكلما ازدادت الفاحشة فيهم بدأت الأحداث النامية بالتشابك بعضها مع بعض، حيث تنشأ أحداث أخرى ما بين دعوة لوط للطهارة وصدود قومه عن ذلك، مما يؤدي إلى إحداث تشابك قوي يزيد من نسبة الصراع ويعمل على زيادة قوة حبكة القصة بازدياد ترابط خيوطها.

وتوتر الصراع واشتداده يأتيان بظهور الملائكة، إذ ينفجر الصراع بشكل واسع مما يجعل الشخصيات جميعها نامية متطورة، فشخصيات قوم لوط تزداد فاعليتها، إذ تنتقل بهم الأحداث الجديدة إلى أفعال جديدة تظهر عليهم فهم يهرعون من شدة إغراقهم في الشهوة حتى يتسابقون إلى اصطيادها وإن كانوا قائمين عليها قبل ذلك{ وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ}هود78 فتماديهم في الإثم ومحاولتهم الحصول على شهوتهم من ضيف لوط ولو بالقوة، فإذا ما توسل إليهم مرشدًا إياهم

إلى ما خلق لهم ربهم من أزواجهم مما أحل الله قالوا:{لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ}هود79 فهم لا يسعون إلى تلبية الشهوة بما خلق الله لهم، وإنما يسعون إلى تلبية شذوذهم وانحرافهم عن السبيل القويم.

لا يقف النمو والتطور في الشخصية عند قوم لوط بل توفر أيضًا في شخصية لوط ﷺ، التي اكتسبت الكثير مما جعل منها شخصية نامية متطورة، فدوره لا يتوقف على الدعوة بل هو الآن في موقف آخر وحدث آخر بصورة أخرى، حيث تضيق به نفسه والأرض بما رحبت لمجيء ضيوفه على عكس ما يعرف به وهو نبي[66]؛ فيكتسي لذلك ثوب الاستياء بهم، وتظهر علامات الاستياء عليه متتابعة من داخل نفسه وشعوره{وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ }هود77 إلى علامات بادية على وجهه وفعله:{وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً}هود77 إلى الإفصاح لهول ذلك الأمر العصيب قائلاً:{ هَـذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ}هود77 وقد اتّصفت شخصية لوط ﷺ بالحدة في مواجهته لقومه، كما في تصريحه بفعلهم إذ قال:{إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ}الأعراف81 وهذه الصفة التي اكتسبها من بشاعة الفعل الذي يحياه[67]. فهذا التطور في الشخصية يظهر مدى التوتر الذي أحدثته النزعة ليس على مستوى أصحابها وإنما على الشخصيات الأخرى في القصة، وهذا تفسير موازٍ لما يحدث من ضرر كبير على الشخصيات في المجتمع نتيجة تفشي هذه النزعات الفاحشة.

تكشف الأحداث عن عنصر الزمان في هذه القصة بشكل جلي واضح مناسب للأحداث إذ يقول تعالى:{فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ} هود81 حيث يظهر في الآية تضاد الوقت ما بين الليل والنهار، تناسبًا مع تضاد الفعل بين حرام وحلال.

تكافلت عناصر القصة من شخصيات وأحداث وزمان في توضيح المخطط السردي، وقد تمّ التعبير عنه بملفوظات حكائية ذات دلالات عميقة ومؤثرة، إذ تعبر ملفوظات الحالة عن نزعة الشهوة الشاذة في قوله تعالى:{ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ}الأعراف80 وقال تعالى:{وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ}النمل54 فقد عبّر عن نزعة الشذوذ عندهم بالفاحشة مرتين بينما عبّر عنها بالشهوة مرة واحدة، فإذا ما اشتهى الشخص فعل الفاحشة منهم ثمّ استمر فيها فتتعدد بينما الشهوة واحدة.

أفصح القرآن بعد ذلك عن فاحشتهم باستخدام ملفوظات الفعل فقال ﷺ:{إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ}الأعراف81 وفي موضع آخر قال ﷺ:{أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ۞ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ }الشعراء165-166 فرسم القرآن الكريم الفعل الفاحش بتأدب الملفوظات فاستخدم كلمة "تَأْتُونَ" ثمّ أوضح سبيل ذلك فقال الرِّجَالَ ثمّ قال الذُّكْرَانَ إمعانًا في الفاحشة وبيان تطورها إذ عبر بالرجال ثم أطلق للذكران ليتعداهم إلى غيرهم من الغلمان وربما غيرهم من الحيوانات.

يظهر من خلال الأحداث السابقة أن هناك اتجاهين من الأحداث؛ اتجاه إيجابي يحاول فيه لوط ﷺ دفع قومه إلى طريق الطهارة والنقاء بإرشادهم إلى ما حلل الله لهم من النساء، ونهيهم عما حرّم عليهم من إتيان الذكران، يناقضه الاتجاه الذي يسير فيه قومه نحو الفاحشة بنبذهم ما يدعوهم إليه من النساء وهو ما حلله الله لهم، ويقترفون الفاحشة بشهوتهم الرجال، فتقوم نزعة الشهوة بذلك بدور الدافع لشخصية قوم لوط في اتجاه مخالف للفطرة كالتالي:

لوط ← قومه ← النساء ← طهارة

الشهوة ← قوم لوط ← الرجال ← الفاحشة

فتجد من خلال المخطط السابق اتجاهين مختلفين يشتملان على عديد من العلاقات التي يمكن لمربع غريماس السيميائي أن يظهرها على الشكل التالي:

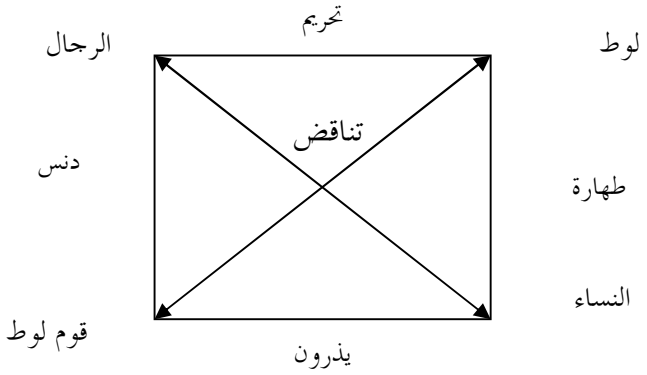

يظهر في المربع السابق أن هناك الكثير من العلاقات التي تربط بين العناصر الأدبية للقصة مثل علاقات الترابط والتناقض والتضاد كالتالي:

علاقة الترابط تجمعت الأحداث حول بعضها برابطة هي ردّ الفعل المضاد لمثل هذا الفعل الفاحش. إلى جانب ارتباط الحدث بالزمن من الفاحشة إلى الليل، ومن التطهير إلى الصبح، ثمّ ترابط الأحداث وتسلسلها من الخفاء في بداية القصة واكتفاء لوط بالإشارة إلى ذلك، إلى الاعتراف الضمني بالفاحشة في قولهم: { أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ }النمل56، ثمّ ارتقاء الحدث وتطوره إلى مستوى الفعل في قوله تعالى:{ وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ}هود78 ثمّ ارتباط القول بالفعل في صورة تكشف ذلك المستوى من الشهوة، والذي أعمى قلوبهم وعقولهم يقولون{ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيد}هود79.

علاقة التضاد تقف بجانب علاقات الترابط لتشد بعض العناصر الموضحة لدوال النزعة كما في الذكران/النساء، الفاحشة/أطهر، الليل/الصبح، عاليها/سافلها، تجهلون/تبصرون، تذرون/تأتون، فجميع

العناصر الأولى في الأزواج السابقة تظهر رسمًا واضحًا للنزعة، إذ ينتقم الله منهم بأن جعل عالي قريتهم سافلها وقد يكون نوع العقاب منسجمًا مع ما يقومون به من فعل فكما كان الرجل فاعل الشهوة على الفطرة أصبح مفعولاً به، لذا جعل الله القرية بدلاً من أن تكون قائمة منكسة كإشارة إلى قلبهم الفطرة، ثمّ تترابط العناصر المضادة في الأزواج نفسها في محاولة لإضفاء ألوان الرسم الذي حددته العناصر الأولى لأن الشيء لا يعرف إلا بضده.

علاقة التناقض تناقض تام بين ما يفعله قوم لوط وبين الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، التناقض الواضح بين الاتجاه الذي سلكه لوط ﷺ في دعوتهم إلى الحق ونهيهم عن المنكر، وبين الاتجاه الذي سلكوه في الفاحشة غير المسبوقة والإصرار عليها.

2. الشهوانية: شَهِيَ الشيءَ وشَهاهُ يَشْهاهُ شَهْوَةً واشْتَهاهُ وتَشَهّاهُ أَحَبَّه ورَغِب فيه، وشَهْوانيٌّ إذا كان شديدَ الشَّهْوةِ[68]، والشهوانية مصدر صناعي من شهواني أي شدة الشهوة.

شهوة امرأة العزيز في قصة يوسف ﷺ: قال الله ﷻ في قصة يوسف ﷺ:{وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۞ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ۞ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءاً إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}يوسف23-25

قد غرس الله ﷻ الشهوة الجنسية في جسم الإنسان حفاظًا على السلالة البشرية من الانقراض، وهي دفينة فيه، يمكن التحكم فيها خفاءً وظهورًا وفق أهداف الإنسان وقدراته، وقد تكون قدرة إخفائها عند المرأة أقوى منها عند الرجل لما جبلت عليه من الحياء، بينما جعل الله المبادرة في ذلك للرجل[69]، وعلى غير المألوف يجد القارئ لسورة يوسف أنّ المبادر بالشهوة هو امرأة العزيز، وهي متزوجة، إذ راودت يوسف ﷺ عن نفسه فأبى ذلك مخافةً من ربه وإكرامًا لسيّده، وقد هيأت امرأة العزيز لتحقيق شهوتها بما استطاعت.

يرى علماء النفس أنّ الرغبات الغريزية إذا تضخّمت في داخل الإنسان وهو ما زال يخزّنها ويرفض تحريرها، فإنّ ذلك يخلق وضعًا قابلاً لانفجار ضخم، إذ يصبح الإنسان في حالة توتر شديد متواريًا تحت السطح؛ لأنّه لم يحرر أو يطلق عنان رغباته، ويصبح في حالة فوران داخلي، قد لا يظهر ذلك في الحال، طالما استخدم الحيل الدفاعية ضدّ ما بداخله من رغبات غير مقبولة اجتماعيًا، لذلك قد يعتريه قلق شديد يؤدي إلى الإقلال من تقديره لذاته[70].

وامرأة العزيز، وفقاً لمنطوق الآيات، كانت قد أخفت في داخلها الكثير من ميلها واندفاعها نحو يوسف، دون مراعاة منزلتها العالية في المجتمع، وأقدمت على فعلٍ يعدّ انفجارًا لما تضخّم في نفسها من شهوة، وذلك شيءٌ يرفضه المجتمع الذي تعيش فيه، متمثلاً في استنكار النسوة لما فعلت.

تبدأ الأحداث بوصف ما بلغه يوسف ﷺ من الفتوة{ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ}يوسف22 حتى ظهر عليه علائم الرجولة لتغري امرأة العزيز فتغلق عقلها وتفتح أبواب قلبها للشهوة المحرمة، فما كان منها إلا أن سارعت بلا وعي ولا تفكير بأن تطالبه بتلبية شهوتها{وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا}يوسف23 فبدأت الأحداث بفعل صريح دون مقدمات، الأمر الذي يحمل دلالات واسعة على مدى تغلغل الشهوة في نفس امرأة العزيز وسيطرتها عليها.

تصدم القصة القارئ بذكر الفعل مباشرة:{وَرَاوَدَتْهُ}يوسف23 و﴿وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ}يوسف23 وإن كان الوجدان البشري وفق الطبيعة المألوفة يرتقب إغراءات تسبق الفعل، ثمّ تنتقل الأحداث في ذات المكان نقلة أخرى يرتبط فيها القول بالفعل فتدعوه قائلة:{هَيْتَ لَكَ}يوسف23 بكل ما حملته من معاني التهيئة للفعل، والنداء له، والتسليم، فقد "كانت في عطش نفسي، يتفاعل في كيانها مع الأيام ثورة عارمة تكاد تحطمها، ولقد حطمتها بالفعل عندما بدا لها يوسف في أوج جماله وكماله، فانهارت، ولم تعد تستطيع المقاومة"[71].

تأتي المفاجأة غير المتوقعة من قبل يوسف ﷺ بالامتناع إذ قال:{مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}يوسف23 فتنطلق الشرارة التي أشعلت الشهوة في نفس امرأة العزيز فتشعر وكأنّها تفقد مبتغاها وقد أنفقت في ذلك ما استطاعت من جهد، فإذا بها تبادره:{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ}يوسف24 تسارع لإطفاء نار شهوتها، وتزداد بذلك حدة الأحداث وتسارعها فكلما ازدادت الشهوة وازدادت قربًا منه ازداد دفعه لها وبعده عنها، فما كان منها إلا أن تسابقه لتمنعه من الخروج، ولفرط شهوتها تقدّ قميصه، وقد أصبحت في هيجانها الذي أفقدها عقلها وسيطرتها على نفسها؛ "لأنّ هذا الصدود والإعراض من قبل يوسف ﷺ، زاد من ضرام ثورتها لأنّه مسّ كبرياءها بجرح عميق"[72].

ذلك التسلسل في الحدث الواحد المتنامي المتنقل من طور لآخر، يترابط في تناسق وانسجام شديدين، ليظهر رسمًا متدرجًا لنسبة الشهوة في قلبها وتزايدها بانتظام، كالتالي:

المراودة ← تغليق الأبواب ← التهيئة ← الدعوة الصريحة بالقول والفعل
← المبادرة ← قدّ القميص

تقف الأحداث على مواضع الشهوة ونموها وتزايدها، متخطية الكثير من الأحداث الدقيقة، ومغفلة تفاصيل كثيرة يسمو القرآن الكريم بعظيم شأنه عن أن يصورها، ففي إشاراته لما حدث كافٍ، فصوّر ما جرى من قريب وبعيد، مع الحفاظ على الخلق الرفيع والذوق السليم.

ولا تقتصر نزعة الشهوة الجنسية على صاحبها في مكانها بل يرافقه أثرها في كل مكان، فها هي ذي تنتقل من بيت العزيز حاملة صيتًا سيئًا لامرأة العزيز تلوكه النساء في المجالس. ثمّ تأتي نهاية الأحداث استسلامًا واعترافًا بعد فترة طويلة من الزمن لتحمل دلالة على أنّ الشهوة الدنيئة يبقى أثرها ملازمًا لصاحبها كلعنة تطارده مدى الحياة.

أمّا الصراع فتبدأ بوادره في القصة مع قول امرأة العزيز{هَيْتَ لَكَ}يوسف23 إذ بلغت الأحداث رغم بدايتها إلى نقطة حرجة مفاجئة لتضادها مع ما جرت به طبيعة النساء من حياء، ثمّ يأخذ الصراع في

الاشتعال بتسارع الأحداث المتلاحقة والمفاجئة، فلم تكن امرأة العزيز تتوقع أمام كل ما قامت به من تنازل عن كونها امرأة العزيز لتراود فتاها أن يرفض ما تدعوه إليه.

بعد اشتداد أزمة الصراع ما بين الشهوة والعقل، تنفرج الأحداث من جانب لتنمو في جانب آخر وتزداد حدة وتوترًا إذ تظهر شخصيات أخرى جديدة كشخصية العزيز[73]، فيزداد الصراع شدة حينما تخلع ثوب الشهوة لتلقيه علي يوسف مشيرة إلى أنّه هو من حاول خيانة العزيز بمراودته لها، وقد نسبت نفسها في قولها إلى العزيز"بِأَهْلِكَ" لتقرب نفسها من زوجها فتثير حميته.

ولا شكّ أنّ الداعي إلى إغفال الزمن اتفاق النزعة عند غير امرأة العزيز في أزمان مختلفة ما بين نساء ورجال، ولكن لا بدّ أن يحمل عنصر الزمان من الإيحاءات الكثير، فبعد انتهاء القصة ونسيانها يشير القرآن إلى امتداد زمن الألم المصاحب لأثر النزعة السيئة على يوسف ﷺ وهو ضحية هذه النزعة: {فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ}يوسف42

لذا يبقى المكان عنصرًا مهمًا في القصة بارتباطه ببعض الأحداث في القصة لتكسبه جديد الدلالات فتكون بداية القصة بتحديد المكان{وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا}يوسف23 بما في "بَيْتِهَا" من خصوصية وملكية تتيح لصاحبته التصرف كيفما شاءت دون قيود أو موانع.

يأتي السجن فارضًا نفسه كمنفر مرتبط بعاقبة الشهوة، إذ يقبع يوسف ضحية النزعة السيئة لبضع سنين في السجن، بما في ذلك من امتهان وعذاب جناه بسبب نزعة امرأة العزيز، ويحمل السجن دلالة الألم والعذاب الذي تتركه النزعة على فاعلها وغيره من المحيطين، وإن كان الأثر قد وقع على الضحية فربما كان أمعن في تحقيق المطلوب من تنفير العباد من هذه النزعات لأن العقاب لو وقع على امرأة العزيز لاجتمعت نفوس المتلقين ومشاعرهم على استحقاقها بالعذاب، ولكن وقوع العذاب على الضحية يثير في نفوس المتلقين كبير أثر من حقد وكراهية لمثل هذه النزعة وفاعلها.

وعلى مستوى الشخصيات تفاجئ القصة متلقيها بشخصية امرأة العزيز التي هي مركز المخطط السردي، فهي الشخصية الفاعلة الرئيسة، وقد خرجت من إطارها المألوف إلى إطار جديد مفاجئ مما منحها قوة ونموّاً دراميًا، إذ تتخذ في كل حدث من أحداث القصة موقفاً يسهم في تحريك الأحداث من حولها وكذلك الشخصيات، فهي أساس انبثاق الأحداث بمراودتها ليوسف ﷺ، وهي التي قامت بتغليق الأبواب، ومن نادى إلى الفاحشة، ومن سابق يوسف للباب وقدّ قميصه، ومن احتكم أولاً عند العزيز، ومن مكر وأعدّ لاجتماع النسوة، ومن كان سببًا في دخول يوسف ﷺ السجن وخروجه منه.

وقفت شخصية يوسف ﷺ تمثّل شخصية الفاعل المساند للفاعل العاملي حيث يقوم بمساندة الفاعل الرئيس في حمل المخطط السردي وتحقيقه، وقد كانت شخصيته مساندة لشخصية امرأة العزيز في تحريك الأحداث بما دار بين الشخصيتين من مواقف وما دار بينهما من اختلافات أذكت الصراع ونمّته، فكانت شخصية يوسف ﷺ شخصية نامية بما حملته من مفاجآت تبدأ برفض فعل الفاحشة.

عبّر القرآن الكريم عن نزعة الشهوة بعناصر القصة المترابطة والمتعاضدة، ثمّ استخدم لذلك عدة ملفوظات حكائية منوعة ما بين ملفوظات الحالة وملفوظات الفعل؛ فأمّا ملفوظات الحالة فقد بدأت بها القصة بقوله ﷻ: {وَرَاوَدَتْهُ}يوسف 23 وفعل المراودة تكرر ستّ مرات موزعة ما بين بدايتها وأحداثها والنهاية علامة على كثرة الإغراءات وأساليب المراودة التي تودي للوقوع في مهاوي الفاحشة، وقد أغفل القرآن ذكرها وأشار إليها بأسلوب راقٍ إلى جانب وصف الشهوة بالفاحشة والسوء.

ولجأ القرآن الكريم بجانب لفظ المراودة إلى استخدام ملفوظات علاماتية على محتويات الأشياء؛ مما له علاقة مباشرة بالنزعة ليصورها بكل شفافية دون تصريح فظ تنبو عنه الأذواق من ذلك استخدام الألفاظ: (قبل، ودبر، وقميص، ومتكئًا، وسكينًا، وقطّعن، وأيديهن)، إذ تتضافر الملفوظات السابقة مرتبة كما جاءت في الآيات في رسم خط الأحداث إذ تقبل امرأة العزيز، فيدبر يوسف عنها، رغم الراحة والمتعة التي قد يحققها من خلال ذلك، ولكنه قطع طريق الرغبة بالرفض رغبة في حدّ الحدود وقطع مداخل الشيطان التي تسعى إلى الهبوط بالإنسان إلى الهاوية، فهذه المفردات المنفردة لا يمكن لها أن تحقق هذا المعنى إلا بتواصلها وترابطها في علاقات دلالية تضم بعضها إلى بعض لتحقيق مدلول خفي يتجلى بترابطها.

تقف ملفوظات الفعل لتحتل موقع الصدارة في القصة تناسبًا مع نوع النزعة الشهوانية إذ هي نزعة فاعلية تقوم على الفعل لا على التفكير والانفعال، فغلبت على القصة ملفوظات الفعل مثل: (راودته، وغلّقت الأبواب، وقالت هيت لك، وقال معاذ الله، وهمّت به، وهمّ بها، واستبقا الباب، وقدّت قميصه، وقال معاذ الله، وقالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً، وقال هي راودتني، وأعتدت لهن، وآتت كل واحدة منهن سكينًا، وقالت اخرج عليهن، وقطّعن أيديهن، وقلن حاش لله)، جميع المفردات السابقة أفعال وأحداث قائمة على الحركة كما تتحرك الشهوة في داخل الجسم فتبدأ من نقطة واحدة في الجسم تتحرك فيها ثمّ تنتشر الحركة لتعمّ الجسد كلّه بعد ذلك.

يمكن أن تتحد هذه الملفوظات الحكائية على المستوى اللفظي والفعلي في رسم توضيحي لمرتكزات القصة بالمربع السيميائي كالتالي:

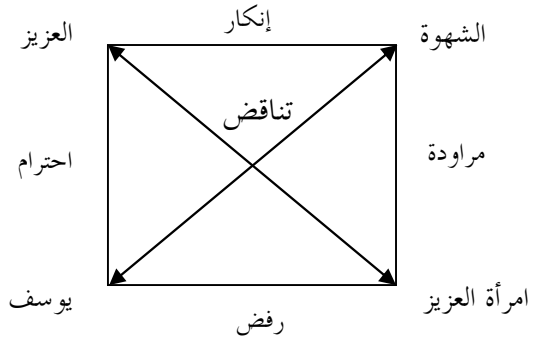

تقوم الشهوة بدفع امرأة العزيز كما ترى في المربع السيميائي لأن تحمل المخطط السردي في محاولة للوصول إلى تلبية شهوتها بمراودة يوسف إلا أنّه يقابلها بالرفض التزاما بأوامر الله، واحترامًا وإكرامًا لسيده، الذي ينكر فعلها، والذي يعدّ عائقًا يحول دون تحقيق مرادها فيدفعها إلى تغليق الأبواب مسبقًا لتضمن عدم رؤيته لما ستقوم به من فعل شنيع، وهي لا تعلم في كلّ ما فعلت أنّها تسير في اتّجاه مضاد لما جبل عليه يوسف من الطهارة والنقاء، فيتناقض يوسف مع شهوتها.

3. شهوة تملّك المال: غرس الله في نفس الإنسان حبّ المال، ولكنه حينما فطر الناس على حبّ المال وضع لهم خطًا لا يتجاوزوه لضمان حياة سوية، وإلا اجتاحتهم شهوة المال فأفقدت حياتهم لذتها فجعل الله ﷻ حب المال مقيّدًا وأغراهم بما في الآخرة من نعيم{ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} ومن تنزعه نفسه عن الفطرة فإنّه يعرض نفسه للهلاك.

شهوة المال في قصة قارون: ضرب الله في قصة قارون للناس مثلاً فقال:{إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۞ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾القصص76-78

انحرف قارون عن قوم موسى وهو منهم، وتكبر بعد أن أصبح غنيًا غنى فاحشا؛ فالمال في أصله للسعادة، إلا أنّه عند قارون بعد أن نزعت به نفسه الشريرة أصبح وسيلة للهيمنة والطغيان على قومه[74].ولشدة بغي قارون على قومه بماله فقد ذكر القرآن الكريم البغي سابقًا على المال قال:﴿ فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾القصص76 فرغم أنّ وجود المال هو السبب الذي دفع قارون ليبغي عليهم ويتصرّف في حياتهم إلا أنّه لمّا اشتدّ بغيه غطى على كل شيء فيه. يظهر المنهج العاملي خط سير الأحداث كالتالي:

مال ← بغي ← فساد

نفس أمارة ← قارون ← قوم موسى

تأتي الآية الأولى تصور قارون الذي انشقّ عن قوم موسى بعد أن آتاه الله مالاً كثيراً فبغى على قومه، ثمّ تظهر الآية الثانية تطور الأحداث{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}القصص77 إذ يحاول قوم قارون أن يرشدوا قارون إلى طريق السلامة في ماله ولم يكن ذلك ليحدث لو لم يصدر عن قارون ما يجعلهم يسارعون في نصحه، فالمال في الأصل رغبة فطرية ولكنه قد يشذّ عن ذلك إذا نزعت به نفسه إلى أبعد مما خطته له طريق الفطرة، فقالت الآية في البداية:{لَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا}فالمال من نصيب الإنسان ولكنه لا يتعدى الفطرة، ثمّ أردفت الآية مبينة خط النزوع فقالت:{وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

تزداد الآن بؤرة الأحداث تعقيدًا بخروج قارون عن نصح قومه له وإنكاره ذلك عليهم مدّعيًا أن ما يملكه من مال بجهده{قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي}ثمّ يتحداهم بالتباهي بماله وزينته بين قومه، كمحاولة لفرض الصورة التي اختارها له والطريق التي رسمها لنفسه متصامّاً عن نصحهم فيخرج عليهم بزينته{فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ}لتبلغ الأحداث ذروتها الآن إذ يكون تحدّيه لقومه في نسب الفضل في كنوزه إلى الله ونسبه إياها إلى نفسه بأن قصمه الله وخسف به الأرض أمام قومه ليكون عبرة لهم.

الشخصيات: تكاثفت الأحداث حول شخصية قارون السردية الفاعلة، والتي قامت باستقطاب الشخصيات الأخرى، وبذلك تميّزت شخصية قارون بالكفاءة في حسن قيادة عناصر القصة، ومن ثمّ تحريكها وأداء المخطط السردي على أكمل وجه، وكانت شخصية قومه الذين انقسموا إلى قسمين: قسم يتمنى مثل ما أوتي قارون، وقسم يخشى الله واليوم الآخر.

ارتبط اسم قارون بفرعون وهامان{وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ}العنكبوت39 مما يكسبه صفات أخرى من التكبّر والبغي والفساد، فشهوة المال قد أخرجته من قومه ليتكبّر عليهم وينضمّ إلى قافلة المتكبرين المفسدين، فإذا كانت المواجهة مع فرعون تعني المواجهة مع طغيان السلطان، واستبداد الحكم، فإنّها مع قارون كانت تعني المواجهة مع طغيان المال واستبداد الغنى"[05].

رسمت شخصية قارون بعض الدوال المترابطة فيما بينها بعلاقات تحدد بدقّة ملامح نزعة شهوة المال لديه من أنّ الله قد آتاه من الكنوز ما يعجز الأقوياء من الرجال على حمله/ فرحه بهذا المال/ تباهيه بقدرته على جمع المال/ خروجه على قومه في زينته للتباهي/ تمني ما لديه من مال عند المحيطين، وقد دفع به لمرحلة جديدة بدوال جديدة تحدد ملامح بغيه وإفساده التي اكتسبها نتيجة امتلاكه للمال وسعيه من أجله منها: بغيه على قومه/ إفساده في الأرض/ جحوده بنعم الله عليه/ تكبره على الله بنسب الفضل في جمع المال لنفسه/ الخسف في النهاية، الدوال الترابطية أوضحت نزعة شهوة المال عند قارون، مع تحديد أبعادها ومستواها الذي بلغه.

ظهرت علاقات التضاد المتمثل بانقسام قومه لفريقين، مما يظهر التضاد ما بين حبّ المال الطبيعي الفطري، وشهوة المال النزوعية نحو الهلاك، وكذلك التناقض من خلال تناقض فرعون مع الفئة الحكيمة من قومه حينما رفض هدايتهم، وأنكر نعم الله عليه ونسب الفضل في جمع المال لنفسه، وبتكبره على قومه وربه، ثمّ تماديه في غيّه حتى خسف الله به الأرض. ويمكن لهذه العلاقات المختلفة أن تظهر واضحة في مربع غريماس السيميائي كالتالي:

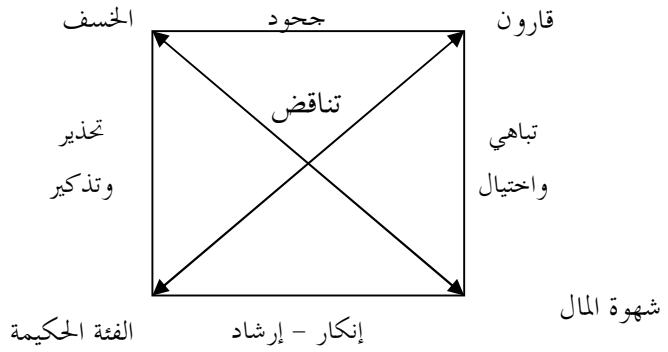

يُلاحظ في القصة أنّ معظم الملفوظات الحكائية المستخدمة في السرد كانت ملفوظات فعل متمثلة بالأداء حيث البغي والفساد/ وصعوبة حمل الأثقال/ الخروج في الزينة، إلى جانب ملفوظات فعل متمثلة بالقول كنهي قومه له عن الفساد/ إنكاره فضل الله عليه من المال/ تمني بعض القوم مثل ماله/ تحذير العاقلين من قومه له ولغيره ممن طلبوا مثله.

4. السيادة والاستبداد: الاستبداد يعني التصرف المطلق في شؤون الجماعة بمقتضى المشيئة الخاصة والهدى، وفي هذه الحالة لا يبعد معنى الاستبداد عن معاني التعسّف والتحكّم والاستعباد والسيطرة التامة[76]. والسيطرة هي الحاجة إلى احتلال مكانة مرموقة وسط الجماعة وتولي القيادة فيها، ويميل الفرد إلى السيطرة لتعويض بعض أوجه نقصه سواء كان هذا النقص حقيقيًا أو متخيلاً، وتسلّط الإنسان على أخيه الإنسان إنّما مردّه إلى العدوان، وتعبّر عن نفسها خارجيًا على شكل سلوك يقصد به إيذاء الآخرن، أو تحطيم ممتلكاتهم، وداخليًا على شكل تدمير الذات[77].

نزعة السيادة عند أصحاب الأخدود: النفس مجبولة على حبّ الرئاسة والمنزلة في قلوب الخلق إلا من سلم الله، والسيادة نزعة تتطلب عددًا من الناس يتم فرض السيطرة عليهم، وقد أمر الإسلام بالإمارة قال رسول الله: (إِذَا كَانَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ)[78] لما فيها من إصلاح أمر الجماعة ورعايتها، ولكنه نهى عن السيادة لما فيها من تحقير للغير بإذلالهم وهذا المنهي عنه هو ما وقع فيه أصحاب الأخدود إذ أرادوا فرض السيادة على غيرهم من الناس، يظهر ذلك في قوله:{إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ}البروج6 أي قعود على كراسيهم التي هي عرش السيادة والسلطة بما في ذلك من تكبر واستعلاء، ثمّ يظهر بطشهم وظلمهم بإيذائهم الناس في قوله تعالى:{وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ}البروج7أي فهم على كراسيهم يتمتعون بالنظر إلى تعذيب المؤمنين من الناس.

ثمّ يظهر الله ﷻ السبب فيما يقومون به من تعذيب هؤلاء المؤمنين، يقول ﷻ: {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ۝الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ }البروج8-9 يظهر في الآيات أن سبب نقمة أصحاب الأخدود على المؤمنين أنّهم طلبوا سيادة الله.ﷻ

يلاحظ القارئ أنّ الشخصيات الموجودة هي شخصيات جماعية سواء المؤمنين أو أصحاب الأخدود، فأمّا أصحاب الأخدود فللعظمة والسيطرة والتحكم في الغير، وأمّا للمؤمنين فهي لبيان مستوى الأذى والعذاب ومداه الذي تحققه نزعة السيادة المنهية، وقد كانت شخصية المؤمنين شخصية غائبة للدلالة على التغييب للقدرة الذاتية والمصلحة الخاصة، فمن وقع تحت سيادة غيره أذهب قدرته وقوته وأصبح منقادًا لهذا الغير يسير بأمره ويقوم به.

المربع التالي يظهر عدة علاقات تربط عناصرالقصة وتبرز مخططها السردي كالتالي:

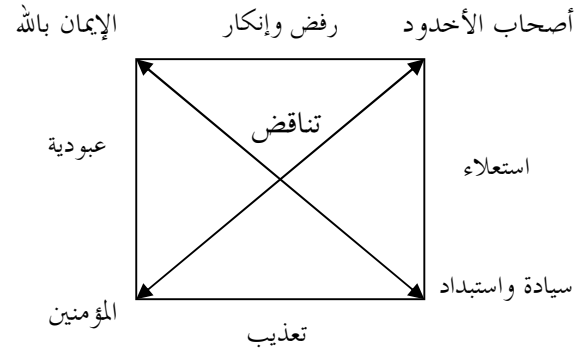

يظهر المربع أنّ أصحاب الأخدود -الشخصية السردية الفاعلة- يتخذون مركز الأحداث، وعلاقتهم بالعناصر والأحداث الأخرى تمثل جوهر الصراع السردي الذي تقوى به القصة، وقد كان لأصحاب الأخدود علاقات مختلفة في ثلاثة اتجاهات، اتجاههم نحو السيادة وهو ما يسعون إليه ويحاولون التمسك به وتنشأ لذلك باقي أحداث القصة، واتجاه آخر نحو المؤمنين بتعذيبهم ومحاولة ثنيهم عمّا هم فيه من عبادة الله وإرجاعهم تحت سيطرتهم وخضوعهم لهم، الاتجاه الثالث هو اتجاه يفجر الصراع السردي تفجيرًا إذ يكون باتجاه إثبات وجود سيد آخر غيرهم وهو الله الذي يرفض المؤمنون الرجوع عن عبادته، وهو ما يرفضه أصحاب الأخدود رفضًا تامًا، ويحاربونه حتى يقومون لأجله بقتل المؤمنين لإنهاء حياتهم وإنهاء سيادة غيرهم(79).

نتائج البحث

- حظيت نزعتي التكبر والحسد بنصيب كبير من المساحة القرآنية، وربما كان ذلك دلالة على خطورة هذه النوازع على المجتمع الإسلامي، لما تبثّ فيه من الأحقاد والضغائن.

- تمّ رسم الأحداث في النوازع بقوة وسرعة النزعة نفسها، وكانت الأحداث على علاقة طردية مع النزعة في تطورها، فكما تطورت نزعة التكبر عند فرعون، كانت الأحداث تتطور وتزداد.

- لم يكن تكرار الحديث عن النوازع في القرآن الكريم إلا تنويعًا لأساليب تصوير النوازع مراعاة للفروق الفردية بين الناس، وتعميقًا لأثر النوازع في نفوسهم.

- اعتمد القرآن كثيرًا على الشخصية الجماعية في الكثير من النوازع، كإخوة يوسف، وأصحاب السبت، وأصحاب الأخدود، وبني إسرائيل لبيان أنّ النزعة النفسية لا يقف أثرها عند الفرد وحده، بل يتعداه إلى الجماعة والمجتمع بأسره.

- تختلف نسبة ظهور النزعة في بعض القصص عن البعض الآخر، فقد تأتي بوصفها فكرة أساسية رئيسة تتمحور حولها الأحداث كنزعة الشذوذ عند قوم لوط، وقد تأتي جزئية ثانوية في قصة كبيرة كنزعة الشهوة في قصة يوسف.

- قد تجمع الشخصية الواحدة أكثر من نزعة نفسية، إلا أنّ تصوير هذه النوازع يكون وفق مستوى ظهور إحداها على الأخر.

- يختلف مستوى ظهور النوازع في الآيات القرآنية ما بين المستوى التركيبي المباشر، مثل نزعة الحسد عند ابني آدم، وبين المستوى الدلالي غير المباشر، مثل نزعة التحايل عند أصحاب السبت.

- اختزلت الآيات في أصحاب السبت الأحداث في حدث واحد هو الاعتداء، وتمّ إخفاء باقي الأحداث، للدلالة على أنّ نزعة التحايل هي فعل خفي متوارٍ عن الأنظار لما فيه من معصية، فهو خفاء في الأداء، وخفاء في الكسب، وإنكار للفعل.

- شخصية قوم نوح هي شخصية القصة الفاعلية والتي يتوجب فيها الكفاية لحمل المخطط السردي من نزعة العناد وظهورها في أفعال الشخصية وأقوالها.

- تتواجد نزعة الجحود في قصة ثمود في مسرح الأحداث بعيدًا عن الفكرة أو الشخصيات، وكأنّها خيوط الحبكة التي تلف الأحداث ببعضها حول الشخصيات في ترابط وتسلسل يضمن لها بالغ التأثير.

- عبّر القرآن عن نزعة الاستعجال في قصة طالوت وجالوت الاستعجال في عدد من الملفوظات الحكائية، غير أنّها اقتصرت على ملفوظات الفعل دون ملفوظات الحالة.

- الملاحظ في قصة نزعة الحسد عند الأخ الشرير من ابني آدم أنّها قامت على ملفوظات الفعل ولم تقم على ملفوظات الحالة؛ فكل الأحداث المتمثلة في الوظائف الحكائية قد قامت على سرد لأحاسيس وأقوال وأفعال، تظهر كدوال مترابطة ومنسجمة مع بعضها.

- غرور صاحب الجنتين نزعة نفسية ظهرت كملمح من ملامح الشخصية، جمعت في قصة صاحب الجنتين بين الصفات الداخلية والخارجية، وقد تمثلت في الفكرة الجوهرية التي دارت حولها القصة والتي حملتها شخصية صاحب الجنتين كمخطط سردي.

- حملت شخصية موسى ﷺ المخطط السردي للقصة وقد اكتسبت قوتها السردية مما يصدر عنها من أحداث، فنزعة الغضب هي إحدى الملامح الداخلية التي ظهرت على موسى في سلوكه وأفعاله في إحدى جوانب قصته وهي ليست فكرة رئيسة تدور حولها الأحداث.

- يظهر من خلال قصة لوط وقومه في نزعة الشذوذ أن هناك اتجاهين من الأحداث؛ اتجاه إيجابي يحاول فيه لوط ﷺ دفع قومه إلى طريق الطهارة والنقاء، يناقضه الاتجاه الذي يسير فيه قومه نحو الفاحشة، فتقوم نزعة الشهوة بذلك بدور الدافع لشخصية قوم لوط في اتجاه مخالف للفطرة.

- تقف ملفوظات الفعل لتحتل موقع الصدارة في قصة امرأة العزيز مع يوسف تناسبًا مع نوع النزعة الشهوانية إذ هي نزعة فاعلية تقوم على الفعل لا على التفكير والانفعال، فغلبت على القصة ملفوظات الفعل مثل: (راودته، وغلّقت الأبواب، وقالت هيت لك، وقال معاذ الله، وهمّت به...، إلخ).

The Semiotic References of Self Desires in Quran

Kamal A. Ghenem, *Islamic University, Gaza, Palestine.*

Sa'eda H. Al - Omari, *Ministry of Education, Gaza, Palestine.*

Abstract

This study uses the semiotic approach which traces the signs related to self desires and points out what they refer to and the relationships between these signs. It is important to point out that Semiotics is an old approach, but a recent one in its analytic use. It investigates all the connected references that express a certain meaning. In addition, the study tackles self desires in Quran which are divided into unfaithful mental desires such as those of kufr , shirk, hypocrisy, conspiracy, rush, doubt; and those self-impulsive desires that confront normal self impulses and turn them aside such as pride, envy, vanity, and anger. The study ends up with self impulsive desires or behavioristic desires such as homosexuality, lust, and financial tyranny.

قدم البحث للنشر في 2009/11/4 وقبل في 2010/7/20

الهوامش:

1 انظر: الزبيدي، محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (نزع). وانظر: الأزهري، محمد، تهذيب اللغة، تحقيق: أحمد البردوني ، ج13، 112، مادة (نزع).

2 انظر: الطبري، محمد، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تقديم: خليل الميس، دار الفكر، بيروت، ط1، 2001، ج27، ص34.

3 انظر: الأزهري ج13، 141، مادة (نزع).

4 انظر: السهيلي، عبد الرحمن، الروض الآنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تقديم: طه سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ج2، 63.

5 الزمخشري، محمود، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، شرح: يوسف الحمادي، مكتبة مصر، القاهرة، ج4، 55.

6 السهيلي، عبد الرحمن، الروض الآنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تقديم: طه سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ج2، 62.

7 انظر: سيلامي، نوربير، المعجم الموسوعي في علم النفس، ج5، ترجمة: وجيه أسعد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2001، 2527.

8 انظر: معهد الإنماء العربي، الموسوعة الفلسفية العربية، مج1،معهد الإنماء العربي، ط1، 1986، 806-807.

9 انظر: ناي، روبرت، السلوك الإنساني في ثلاث نظريات في فهمه، ترجمة: أحمد صبح ومنير فوزي، هلا للنشر والتوزيع ، 216.

10 انظر: العماري، علي، القرآن والطبائع النفسية،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر،22،1965-23.

11 ابن منظور، مادة (نزغ).

12 انظر: القرطبي، محمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988، ج4، 221.

13 الشوكاني، محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الخير، بيروت، ط1، 1992، ج2، 319.

14 انظر: أبو السعود، محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، دار الفكر، بيروت، 1996، ج3 ، 121.

15 انظر: الألوسي، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، مكتبة دار التراث، القاهرة، ج9، 147.

16 الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (وسوس).

17 انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس ، ج30، 633 .

18 انظر: الأزهري، مادة (سول).

19 الزبيدي، مادة (سول).

20 البيضاوي، عبد الله، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: عبد القادر حسونة، دار الفكر، بيروت، ج3، 295.

21 الشوكاني، محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الخير، بيروت، ط1، 1992، ج3، 40.

22 اجتهدنا في البحث أن ننأى عن إقحام ما هو خارج النص القرآني عليه، وما بُني التحليل هنا إلا على النص القرآني، وأية تفصيلات لم ترد فيه بشكل مباشر إنما تُحمل على المعنى العام للآيات.

23 ابن كثير، ج2، 246 .

24 انظر: ابن كثير، ج2، 246 .

25 انظر: ابن كثير، ج2، 246 .

26 انظر: واصل، عصام، قراءة سيميائية في قصة: نصف امرأة مؤقتا، موقع عناوين ثقافية، الأحد، 13-7-2008: (www.anaweeen.net)

27 بارت، رولان، وآخرون، نظريات القراءة من البنيوية إلى جمالية التلقي، ترجمة: عبد الرحمن بوعلي، دار الحوار، سورية، ط1، 2003 ، ص13.

28 انظر: حمداوي، جميل، السيموطيقا والعنونة، مجلة (عالم الفكر)، الكويت، مج 25، عدد3، 1997، 107.

29 انظر: شرشار، عبد القادر، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2006، السبت، 7-6-2008. (www.awu-dam.org)

30 لمراجعة هيكلية الشكل انظر: شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص:(www.awu-dam.org)

31 البغوي، الحسين، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، دار الفكر، بيروت، ط1، 2002، ج1، 24.

32 الحجيلان، ناصر، دوافع العناد، جريدة الرياض، الجمعة، 17 -10- 2008: (www.alriyadh.com)

33 انظر: كورتيس، جوزيف، السيميائية من "بروب" إلى "قريماس" المكتسبات والمشاريع، ترجمة: جمال الحضري، مجلة الآداب الأجنبية، العدد 131، الجمعة، 6-6-2008: (www.awu-dam.org)

34 عبّر القرآن عن نزعة العناد نفسها عند قوم عاد ما بين ملفوظات الحالة وملفوظات الفعل.

35 انظر: ابن منظور، محمد، لسان العرب، عناية: أمين عبد الوهاب، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999، مادة (جحد).

36 ابن كثير، ج3، 174.

37 انظر: الجليل، عبد العزيز، أفلا تتفكرون، سلسلة وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم (17)، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2005، 411-412 .

38 الجليل، أفلا تتفكرون، 413.

39 نوح، سيّد، آفات على الطريق، ج2، كتاب الكتروني.

40 لم تتوقف آيات الذكر الحكيم عند العزير، ولكنها تمثلت في قصص أنبياء آخرين تصور هذه النزعة لديهم، والتي منها قصة إبراهيم عليه السلام. وحينما طلب زكريا الذرية من ربه، واستجاب له وسوست له نفسه بالشك فقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾.

41 قرعوش، كايد، وآخرون، الأخلاق الإسلامية، دار المناهج، عمان، ط5، 2007، 206.

42 الغزالي، محمد، إحياء علوم الدين، تحقيق: سيّد عمران، دار الحديث، القاهرة ، ج3، 436.

43 صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبْر، حديث رقم (2620)، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2001.

44 انظر: الطبري، ج1، 68.

45 انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، ج7، 150.

46 لمراجعة أنواع الفواعل السردية، انظر: كورتيس، جوزيف، السيميائية من "بروب" إلى "قريماس" المكتسبات والمشاريع، ترجمة: جمال الحضري، مجلة الآداب الأجنبية، العدد 131، الجمعة، 6-6-2008:
(www.awu-dam.org)

47 انظر: واصل، قراءة سيميائية في قصة: نصف امرأة مؤقتا: (www.anaweeen.net)

48 ورد التكبر في القرآن أيضا في جزئية تكبر فرعون في قصة موسى.

49 انظر: الغزالي، ج3، 240.

50 الكرمي، زهير، الطبيعة الإنسانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 1995، 49. في النص (الغيران) والصواب (الغيور).

51 الغزالي، ج3، 239.

52 عفيفي، عمرو، الحسد في ضوء القرآن والسنة، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، 2003، 15.

53 قرعوش، كايد، الأخلاق الإسلامية، 318.

54 انظر: قطب، محمد، قصص القرآن، المكتبة العصرية، بيروت، 2002، 13.

55 ظهرت نزعة الحسد في قصة يوسف عليه السلام باصطفاء رباني ليوسف من بين إخوته متمثلاً في الرؤيا التي رآها.

56 انظر: ابن منظور، مادة (غرر).

57 الزبيدي، مادة (غرر).

58 خير الدين، حسن، العلوم السلوكية المبادئ والتطبيق، جامعة عين شمس، مصر، 111.

59 مجموعة من الكتاب الروس، المدخل إلى علم الأدب، ترجمة: أحمد الهمداني، دار المسيرة، الأردن، ط1، 2005. 139-140.

60 ابن منظور، مادة (شذذ).

61 كمال، علي، النفس انفعالاتها وأمراضها وعلاجها، دار واسط، بغداد ط2، 1983، 296.

62 انظر: قطب، محمد، يوسف وامرأة العزيز، مكتبة القرآن، 1984، 36.

63 ابن عاشور، ج 9، 179.
64 كمال، النفس انفعالاتها وأمراضها وعلاجها، 296.
65 انظر: الأحمد، محمود، مع الأنبياء وجهادهم من خلال سورة الأنبياء، دار الفكر، سورية، ط1، 2003، 163.
66 انظر: الأحمد، مع الأنبياء وجهادهم من خلال سورة الأنبياء، 165.
67 انظر: إعلاوي، الشخصيات القرآنية، 68.
68 انظر: ابن منظور، مادة (شها).
69 انظر: قطب، محمد، يوسف وامرأة العزيز، مكتبة القرآن، 1984، 36.
70 انظر: ناي، السلوك الإنساني في ثلاث نظريات في فهمه، 41.
71 قطب، يوسف وامرأة العزيز، 76.
72 قطب، يوسف وامرأة العزيز، 17.
73 قطب، يوسف وامرأة العزيز، 22.
74 انظر: أبو النيل، بنو إسرائيل، 188-189.
75 قطب، قصص القرآن، 55.
76 معهد الإنماء العربي، الموسوعة الفلسفية العربية، ج1، 54.
77 انظر: جابر، جودت وآخرون، المدخل إلى علم النفس، مكتبة دار الثقافة، عمان، ط1، 2002، 171.
78 أبو داود السجستاني، سليمان، سنن أبي داود، تعليق: محمد الألباني، باب "في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم"، رقم الحديث 2609، مكتبة دار المعارف، الرياض، ط1، 1417هـ، 395. قال الألباني: حسن صحيح.
79 ظهرت نزعة السيادة والاستبداد أيضا في حكاية فرعون مع بني إسرائيل في ثنايا قصة موسى عليه السلام.

المصادر

ابن الحجاج، مسلم، صحيح مسلم، **صحيح مسلم**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2001.

ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، دار سحنون، تونس، مج30.

ابن منظور، محمد، **لسان العرب**، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999.

أبو السعود، محمد، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم**، دار الفكر، بيروت، 1996،ج3.

أبو النيل، محمد، **بنو إسرائيل**، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 2003.

أبو داود السجستاني، سليمان، سنن أبي داوود، تعليق: محمد الألباني، مكتبة دار المعارف، الرياض، ط1، 1417هـ.

أبو عزيز، سعد، قصص القرآن دروس وعبر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط1، 1999.

الأحمد، محمود، مع الأنبياء وجهادهم من خلال سورة الأنبياء، دار الفكر، دمشق، ط1، 2003.

الأزهري، محمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق: أحمد البردوني.

إعلاوي، نزيه، **الشخصيات القرآنية**، دار صفاء، عمان، ط1، 2006.

الألوسي، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، مكتبة دار التراث، القاهرة.

بارت، رولان، وآخرون، نظريات القراءة من البنيوية إلى جمالية التلقي، ترجمة: عبد الرحمن بوعلي، دار الحوار، سورية، ط1، 2003.

البغوي، الحسين، **معالم التنزيل في التفسير والتأويل**، دار الفكر، بيروت، ط1، 2002، ج1.

البيضاوي، عبد الله، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: عبد القادر حسونة، دار الفكر، بيروت، ج3.

جابر، جودت وآخرون، **المدخل إلى علم النفس**، مكتبة دار الثقافة، عمان، ط1، 2002.

الجليل، عبد العزيز، أفلا تتفكرون، سلسلة وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم(17)، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2005.

الحجيلان، ناصر، **دوافع العناد**، جريدة الرياض، الجمعة، 17 -10- 2008: (www.alriyadh.com)

حمداوي، جميل، **السيموطيقا والعنونة**، مجلة (عالم الفكر)، الكويت، مج 25، عدد3، 1997.

حوى، سعيد، **المستخلص في تزكية الأنفس**، دار السلام، القاهرة، ط12، 2006.

خير الدين، حسن، **العلوم السلوكية المبادئ والتطبيق**، جامعة عين شمس، القاهرة.

الزبيدي، محمد، **تاج العروس من جواهر القاموس**.

الزمخشري، محمود، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، شرح: يوسف الحمادي، مكتبة مصر، القاهرة، ج4.

السهيلي، عبد الرحمن، **الروض الآنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام**، تقديم: طه سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ج2.

سيلامي، نوربير، **المعجم الموسوعي في علم النفس**، ج5، ترجمة:وجيه أسعد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2001.

شرشار، عبد القادر، **تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2006، السبت، 7-6-2008. (www.awu-dam.org)

الشوكاني، محمد، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار الخير، بيروت، ط1، 1992.

الطبري، محمد، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تقديم: خليل الميس، دار الفكر، بيروت، ط1، 2001.

عفيفي، عمرو، **الحسد في ضوء القرآن والسنة**، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، 2003.

العماري، علي، **القرآن والطبائع النفسية**، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1965.

الغزالي، محمد، **إحياء علوم الدين**، تحقيق: سيّد عمران، دار الحديث، القاهرة، ج3.

القرطبي، محمد، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988.

قرعوش، كايد، وآخرون، **الأخلاق الإسلامية**، دار المناهج، عمان، ط5، 2007.

قطب، محمد، **قصص القرآن**، المكتبة العصرية، بيروت، 2002.

قطب، محمد، **يوسف وامرأة العزيز**، مكتبة القرآن، 1984.

الكرمي، زهير، **الطبيعة الإنسانية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 1995.

كمال، علي، **النفس انفعالاتها وأمراضها وعلاجها**، دار واسط، بغداد ط2، 1983.

كورتيس، جوزيف، السيميائية من "بروب" إلى "قريماس" المكتسبات والمشاريع، ترجمة: جمال الحضري، مجلة الآداب الأجنبية، العدد 131، موقع: (www.awu-dam.org)، الجمعة، 6-6-2008.

مجموعة من الكتاب الروس، **المدخل إلى علم الأدب**، ترجمة: الهمداني، أحمد، دار المسيرة، الأردن، ط1، 2005.

معهد الإنماء العربي، **الموسوعة الفلسفية العربية**، مج1، معهد الإنماء العربي، ط1، 1986، ص806-807.

ناي، روبرت، **السلوك الإنساني في ثلاث نظريات في فهمه**، ترجمة: أحمد صبح ومنير فوزي، هلا للنشر والتوزيع.

نوح، سيّد، **آفات على الطريق**، ج2، كتاب الكتروني.

واصل، عصام، **قراءة سيميائية في قصة: نصف امرأة مؤقتا**، موقع عناوين ثقافية، الأحد، 13-7-2008: (www.anaweeen.net)

يونس، انتصار، **السلوك الإنساني**، دار المعارف، القاهرة، 1978.